الانسان الخالد

★

ان الخلود · والابداع العبقري ، وكبرياء الوجود ، والتفوق ، معان يؤدي بعضها الى بعض ، وينهض نحو منها على نحو ، ولكن كافتها انما تنبع من اعماق شعور الحي بمعناه · هذا الشعور الذي يسمح للشخصية بالامتداد ، ويغريها بالتدفق ، فلا تضمر ولا تبور ، ولا تتهافت او تضمحل · بل تفرض طبيعتها لتبني وتهدم ، وتبدع وتخلق ، دون ما حساب الا للقيم الخالدة في خضمها ، خضم الذات ·

هذا الشعور الذي هو المادة الحقيقية في العمل الكبير ، في الادب ، في الفن ، وسائر مظاهر الكائن التي استوت وكانت سجل نبضات كبيرة ، مشت في الزمن ولم تذو ·

ولعلنا لا نخطىء ، بل نصيب والى حد كبير ، حينما نقدم مثل هذا في المتنبي ، الذي كان واعي الشخصية مستيقظها ، قبلما كان اديباً او شيئاً آخر · ومن ثم اتخذت طريقها الى ادبه ، وخطت مجاريها في خلجات حياته ، فكان ادبه خالداً ، وكانت شخصيته من وراء ذلك اكثر خلوداً ·

ويوماً خامر هذا الشعور نفس عربي ، ففاضت بقصة نسر تحيّز وجوده امام ناظريه ، فلم يبصر الا وجوده ضافياً في آفاق الوجود ·

قصة مرت بها دفقات الفناء ، واضطربت جياشة فما طوتها ، بل ظلت شاخصة تشير ، ومستعلية تهمس في أذن الزمن ، وكانت الحياة تصغي ···

مرّ نسر يحلق فوق الآكام ، فتكنفته بغاث النسور من كل مكان ،

تهيب به ان لا يمضي بعيداً ، فهناك صقور تعيث فساداً وتبث رعباً ،

ولكن النسر شد جفنيه طويلاً ، كأنه لا يصدق ان هذه لغة نسر ، على انه مضى وهو يقول :

ان النسر شيء في المعنى ، وليس شيئاً في الشكل · فاذا استحال المعنى شكلاً فقط ، فهناك مسوخ لا نسور ···

وهذا النسر انطلق يهوي غير مبال بما سوف يعترضه ، وما هو حتى واثب جماعة الصقور ، فنال منها كثيراً ونالت منه مقتلاً · على انه كان مغتبطاً ، فقد همس في انفاس المحتضر :

سوف يظل في الاجيال ، انه هنا يرقد نسر وجد حقيقته ، وهناك تحيا نسور فقدت حقيقتها ·

انني اقضي ، ويبقى في ضمير الوجود ، ان اقتحام الطريق دائماً في الامكان ···

الاديب

التعاون الثقافي

بقلم عبدالله المشنوق

سمعت(*) خصوم التعاون الثقـافي بين الاقطار العربية يوجهون الى هـذه الفكرة اعتراضين :

يقولون ان الشعوب المتعاونة ليست في مستوى ثقافي واحد ، فهي متفاوتة تفاوتاً عظيماً ، بينها المتقدم والمتأخر ، ويخشى من هذا التعاون ان يؤدي الى تأخر المتقدم او ركود النهضة الثقافية فيه على الاقل – على حساب تقدم الشعوب المتأخرة فالتعاون الثقافي اذن اداة من ادوات الرجعية والانحطاط .

ويقولون ان هذا التعاون بين الشعوب العربية المتفاوتة ، عبء يقع على كاهل الاقطار المتقدمة ، ولن يقابله اي تبادل من ناحية الاقطار المتأخرة ، وبذلك يفقد صفة المشاركة الاساسية في لفظة التعاون ، ويصبح طريقاً ذات وجهة سير واحدة .

كلا الاعتراضين في نظري من وحي الاثرة والانانية ، وكلاهما واه من اساسه ، بعيد اقصى البعد عن الروح العلمية الصحيحة .

نبدأ بدحض الاعتراض الاول فنقول ان المفهوم بالتعاون ان تتبادل الاقطار العربية ، في حدود امكانها ، ما تحتاجه من الاساتذة وان تسهل بعثات الطلبة وتتعاون في وسائل التدريس وتقرب ما بين مناهجها وتوحد مراحل التعليم فيها ومستوى الشهادات والاهداف الوطنية الكبرى وما الى ذلك من شؤون مشتركة .

فانا لا افهم كيف يكون ايفاد استاذ من قطر متقدم مثلاً الى قطر متأخر عاملاً من عوامل الرجعية والانحطاط اللهم الا اذا كان نشر العلم بين الجاهلين يؤدي الى انحطاط المعلم ، او نشر الفضيلة بين الاشرار يؤدي الى ضعف اخـلاق المرشد !.. ان التقدم في اساليب التربية والتعليم قائم في الدرجة الاولى على الاختبار والتجربة ولا ريب في ان المعـلم الذي ينتدب للتدريس في قطر يعود وقد اكتسب خبرة جديدة من تجاربه هنـاك ، وفهماً جديداً للطبائع البشرية ، وزاداً علمياً مضافاً الى زاده القديم ، وهو بلا ريب اقدر وامهر بعد عودته ، منه عندما غادر بلاده . فهو في رحلاته هذه عنصر من عناصر التقدم الثقافي العام .

ولوصح زعم المعترضين لكان ايفاد البعثات العلمانية من فرنسا الى مختلف انحـاء الشرق عاملاً من عوامل الرجعية والانحطاط في فرنسا ، ولكان تبادل الاساتذة الزائرين بين مختلف جامعات العالم – وهي متباينة متفاوتة من حيث المكانة الثقافية والمستوى العلمي – اداة من ادوات التقهقر العلمي ، في حين ان الجامعـات تتوخى من هذه الزيارات تزويد اساتذتهـا بالاساليب الجديدة وتوسيع آفاق بحوثهم وتنمية خبرتهم وتجربتهم ، وهذا كله من عوامل التقدم. ثم لا افهم كيف يكون ارتشاف طلاب من اقطار متأخرة مناهل العلم في البلدان المتقدمة ، عاملاً من عوامل ركود الحركة الثقافية في القطر المتقدم، فهذه باريس وهي قبلة الطلبة من مختلف انحـاء الشرق والغرب ، ولم نسمع يوماً ان اختلاط هذه العناصر المتباينة ادى الى انحطاط المستوى الثقافي فيهـا ، بل على النقيض من ذلك فان العلمـاء الفرنسيين يعتقدون ان هذا المزيج يكسب حضارتهم الروحية ألواناً جديدة لم يكن بامكانهم ان يقتبسوها لولا هذا « الحي اللاتيني » الذي يكاد يشبه برج بابل بما يضمه من مختلف العناصر والاجناس .

ثم متى كان التعاون في وسائل التدريس من كتب وصورات جغرافية او تاريخية ومـا اليها من اسباب الايضاح في المعامل والمختبرات ، عاملاً من عوامل التأخر والانحطاط ، مـا دام هذا الامر اختيارياً ليس فيه الزام لاحد الفريقين المتبادلين .

واما التقريب بين المناهج وتوحيد مراحل التعلـيم ومستوى الشهادات فهذه امور تخضع اولا لمقاييس عالمية متفق عليهـا فلن تكون الشهادة الابتدائية العربية الموحدة مثلا ادنى في المستوى العلمي من الشهادة التركية المماثلة او الفرنسية او الانكليزية .

فاذا كان مستواها الحالي ضعيفاً في قطر عربي ما فان الاقطار العربية لن تنزل الى ذلك المستوى المنحط ، ولكنها ستنهض بشهادة القطر المتأخر الى سويتها وستطلب منه ان يعدل مناهجه لتصبح معادلة في موادهـا الدراسية للمستوى الموحد ، دون ان يؤثر ذلك في مستوى الاقطار المتفوقة .

بقيت الاهداف الوطنية العامة ، ولا اظن اننا متفاوتون رغبةً في المحافظة على سيادتنا وكرامتنا واستقلالنا ، والتمسك بالديمقراطية الحقة ، والتعاون في خدمة القضية العربية الكبرى ، قضيتنا المشتركة ! نخلص من ذلك كله الى ان التفاوت في المستوى العلمي بين الاقطار ليس عقبة في سبيل التعاون ولكنه اداة تقدم وتطور في الشعوب المتقدمة والمتأخرة على السواء .

واما الاعتراض الثاني القائم على ان التعـاون عبء على بعض اعضاء جامعة الدول العربية وانه ذو وجهـة سير واحدة فمردود ايضاً لاسباب عديدة أهمهـا ان القطر المساعِد يتحمل نفقات وتكاليف ما يسدى اليه من خدمات فليس ثمة فضل لقطر على آخر

(*) صفحات من كتاب بهذا العنوان ، يصدر في هذا الاسبوع .

وليس ثمة اي عبء ينوء به كاهل القطر المساعد . واذا كانت الحالة الثقافية الراهنة في قطر من الاقطـــار لا تسمح له الآن بان يتبادل مع سائر البلدان خدمات ادبية او روحية فان بوسعه على الاقل ان يساهم مادياً في تحقيق المشاريع الثقافية الكبرى التي تعجز عن تحمل نفقاتها كل حكومة على انفراد . ان هذه المساهمة المادية وحدها كافية للدلالة على مدى الفائدة المشتركة والتقدم المرجو من التعاون في الحقل الثقافي .

وغني عن البيـــان انه اذا كانت بعض الدول العربية قصيرة الباع في مضمار التعاون الثقافي ، فمن المحتمل ان يكون لها القدح المعلى والنصيب الاوفر في حلبة التعاون الاقتصادي او السياسي ، فليس التعاون اذن ذا وجهة سير واحدة كما يزعمون ، وانمـــا هي منافع متبادلة لا يمكن ان تكون بنسبة واحدة متساوية في جميع نواحي الثقافة والسياسة والاجتماع والاقتصاد وغيرها .

الشعوب العربية المتعاونة — موقف التعاون من الغرب

اول ما يتبادر الى الذهن ان الشعوب العربية التي يشملها التعاون الثقافي هي التي اشتركت في مشاورات الوحدة ثم وقعت بروتوكول الاسكندرية او انضمت اليه فيما بعد ، اي مصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين وشرق الاردن والمملكة العربية السعودية واليمن . ولكن هذه الشعوب وحدها لا تكوّن الامة العربية اذ ان نظرة واحدة على خريطة العالم العربي تكفي لتذكرنا انسينا اخواناً اعزاء لنـــا في برقه وطرابلس الغرب وتونس والجزائر والسودان وحكومات الجزيرة العربية : (الكويت ، وعمان ، ولحج ، والبحرين ، وعدن وحضرموت) ، واذا كانت ظروف هؤلاء الخاصة تحول دون مساهمتهم رسمياً في حقل التعاون الثقافي فانهم اعضاء طبيعيون في جامعة الدول العربية ، وعلى هذه الجامعة ان تعيرهم جانباً كبيراً من عنايتها ، وان تعمل على تعزيز الثقافة العربية بينهم بتزويدهم بما يحتاجون اليه من اسباب هذه الثقافة ، الى ان يأتي الزمن الذي يصبحون فيه اعضاء رسميين لهم ما لسائر الاعضاء من حقوق وعليهم ما على سائر الاعضاء من واجبات .

ولسنا نرى فيما يتحتم على الجامعة القيام به نحو هؤلاء الاخوان من توجيه ثقافي ، اي عداء للغرب . فاذا جاز لامم الغرب المتباينة لغة وثقافة ان تتعاون فيما بينها ثقافياً ، واذا جاز لها ايضاً ان تساهم في مساعدة الامم الشرقية ثقافيـــاً على الرغم من فقدان الصلات والروابط الروحية والثقافية بين هذه الامم الغربية والشرق ، فلسنا نفهم لماذا لا يجوز لابناء لغة واحدة ، وامة واحدة ، ان يتعاونوا في حقل الثقافة ، ولسنا نفهم كيف يجوز ان يعتبر هذا التعاون عداء للغرب فيقوم بعض الغربيين ويناصبونه العداء ! . .

واذا جاز للاميركيين والانكليز والفرنسيين — والالمـــان والطليان فيما مضى — ان ينشئوا المعاهد العلمية على اختلاف درجاتها وألوانها والمستشفيات والملاجىء في مصر وسوريا ولبنان والعراق ، فلماذا لا تنشىء مصر وسوريا ولبنان والعراق وبقية الدول العربية مجتمعة — معاهد علمية في البلدان العربية الاخرى لتعزيز الثقافة العربية فيها ورفع مستواها العلمي . منذ ايام صرح المسيو بيدو وزير خارجية فرنسا تعليقاً على المعاهدة الروسية الفرنسية انه يرى ان للدول الكبرى حقاً مشروعاً في نصح الدول الصغرى وارشادها وتوجيهها ، وان لفرنسا بوصفها دولة كبيرة الحق في ان تساهم في هذا النصح والتوجيه . فاذا جاز للدول الكبرى — وهذا ما لا نناقشه الان — ان تنصح وتوجه الصغرى فما احرى الدول العربية المستقلة بان تنصح وتوجه شقيقاتها الصغرى التي لم تنعم بعد بنعمة الاستقلال ، في حقل الثقافة على الاقل ! . .

ثم ان هذا الارشاد تسديه مصر والعراق وسوريا ولبنـــان وفلسطين والاردن والحجاز واليمن الى طرابلس وتونس والجزائر ومراكش والسودان وامارات الجزيرة العربية ، ضرورة لا بد منها للحيلولة دون تفسخ الصلات الوثيقة بين هذه الاقطار والعروبة الام ، هذه الصلات التي تعمل فيها معاول الهدم منذ قرن او نصف قرن وهي ما تزال على الرغم من ذلك قائمة تصمد في وجه عاديات الزمن وترقب بانتباه ما تحرزه اخواتهـــا من نجاح في حقل التحرر الوطني والتعاون الثقافي . وعندي ان التعاون مع هذه الاقطار يجب ان يُحصر الان في حقل تعزيز اللغة العربية الفصحى فيها عن طريق المساهمة في فتح المعاهد العلمية وتغذيتها بالاساتذة والمؤلفات المدرسية وغيرها ، وفتح ابواب المعاهد الثانوية والعليـــا في مختلف الاقطار العربية لقبول بعثات الطلبة منها وتسهيل شروط انتسابهم اليها ، واذا استطاعت كل حكومة من حكومات الجامعة العربية القيام بنصيبها في هذا الميدان ، فان جامعة الدول العربية تكون قد خطت خطوة موفقة مباركة نحو صيانة العروبة في هذه الاقطار .

لا يحضرني الان اسم ذلك الاديب الذي شبه اللغة الوطنية عند الشعوب السجينة بالمفتاح السحري لذلك السجن ، فالشعب الذي يحافظ على لغته يحتفظ بمفتاح سجنه ليفتحه يوماً ويعيش طليقاً ، ومن اضاعها اضاع المفتاح وظل سجيناً الى الابد . . .

عبد الله المشنوق



اوراق الورد

كانت واقفة ، وحدها ، في الباب الشرقي ، على العتبة ، تستند الى الحائط الرخامي ، برأسها الحائر ، المستلقي ، شراعاً على سارية ، كلما مرت النسمة ، جعّدت خصل الغدائر ، وحملت ، عجلى ، نفحات من ورق الرند ، وخميرة العنبر .

هي اخت الضنينة ، تتضامّ على الطيف والسر ، تضامّ العناقيد على الشهوة ، والنشوة ، وجنة الوثوب .

*

اعبري ، اليّ ، يا نسمة ، ها أناذا ، هنا ، في طرف الممر ، اتأمل ، من بعيد ، في لفتة الانتظار ، اطاريف تلك الشملة اللازوردية ، وخيوط الوشاح البنفسجي ، الرافل في الخضل والرواء ،

... وحدها في عين الشمس ... من يهمس في اذنها ان اهداب النجوم تعكر صفو الماء ... وان المصباح الطافح يخدش صلاة المتنسكين ... وان اصابع الآلهة ، تخمش ، في القطف ، اسارير الاطياب .

*

... وتثب فجاءة ، وتغيب في الجنينة البحرية ، كما يثب الفكر في شبكة الذاكرة ويغيب ...

قد لفح دفء الشمس ، خدها ، الشمال ، فاحمر ، اليمين ، غيرة ، وخجلاً .

كانت واقفة ، وحدها ، تفكر ، وتحلم ، وتعبق ... يا لهناءة الرخام ، في خفق الخصيلة ، وارتناح الظل .

وما أيار ، محيي ، التراب والحجر ، الا حبة لون ، في ذيل رداء ...

*

لم تزل واقفة في الباب ... في العتبة ،... في طرف الممر ... تشتاق قدمها ربيعاً تطأ صدره وتدوس خده . والرخامة التي يرفها ظل امرأة تتفجر بالرونق الازلي . والارض ، التي تدوسها، قدماها ، تأهل الى الابد . والابجدية التي تعي ، اسمها ، قمة التجلي ، لكل إله عابر .

... ويوم تقطر ، السماء ، تقطر لتروي ، شاردة ، ظمأى ، في طريق الجبل

*

كذبت الحكاية ، ان حواء لم تأكل ، في الجنة ، ثمر التفاح ولكن شجرة التفاح نفسها ، لمست في الجثو غدائر حواء ، فكانت المتعة السرمدية ، وغضب الربُ، فكانت جبهة الارض موطيء قدميه القاسيتين . لم تزل واقفة في الباب ، تخبيء عن اظافر النهار ، صفحات وجهها .

*

سأسهر في ، الضجر ، والخمر ، حتى الصباح وسأسأل غداً هذا الرخام البارد كيف ترامى الليل ، امس ، عند قدميه ، على مدارج العتبة . يا ليل ، قبّل الرخام كما تقبل الحجرة ، لقد لمسته امرأة بخصل رأسها الحائر .

*

اسقني يا نديم ... وارو لي حكايات الفراشات التي اتهمت الربيع وحكاية الربيع الذي اتهم الفراشات . أسقني ، وقديماً عبد آدم في الالم والحيرة عصير الكرمة . ايتها الواقفة في الباب الشرقي على العتبة ، ... ان المصباح كاد ينطفي ، ونحن ، بعد ، على موعد ...

أيان نلتقي ؟ أيان ، نزرع البنفسج في جبين الصباح ؟

... انا لم ازل في الممر انتظر رجوع النسمة . ...

الياس خليل زخريا

فصول

في الادب المقارن

اثر الاساطير في الادب الغربي

بقلم

صلاح الدين المنجد

■

حديث الاساطير ممتع شهي . فيه طرافة وغرابة ، وفيه لذة قد يشوبها الذعر مرة ، والمرح اخرى . تبعثها اشباح راعبة ، راقصة ، ضاحكة . تثير الدهشة وتدفع الى الاعجاب . والحق ان ليس اروع من هذه الطيوف التي تملأ اجواف الاساطير . فهذا ابليس . خدين الجان والفاسقين ، ومغري العذارى والتائهين ، وصاحب الغلمان والحسان ، ومصدر الشر والسوء . . . تمثله بخلقه المشوه ، ومنظره القبيح ، وعينيه المشقوقتين في الطول . وحدق في وجه كوجه القرد ، وجسد كجسد الخنزير ، وكفين لاصقتين بالكتفين ، ومنخرين واسعين عريضين وذنب غليظ يعلو تاجاً على الجبين . ثم تحول عنه الى السحرة الكفرة ، وهؤلاء الساحرات الكافرات ، وانظر الى الخبث والحقد والشر ، في القسمات والسمات والنظرات . ثم عرج على هاته الغيلان ، التي تبتلع الناس ، وتصوت في القفار ، وتلك الافاعي التي تروع الآمنين في الديار . ثم دع عنك هذه الرؤى الراعبة ، وارنُ الى هذه الملائكة الحنون التي تنشر الحب والسلام ، وتؤلف بين الاحبة بالمودة والوئام ، او تأمل اولئك الابطال الشداد البأس الرابطي الجأش ، الذين تصفق لهم القلوب ، وتفتن بهم الالباب . . تأمل هذا ، تفض نفسك فرحاً ، وتضحك عينك مرحاً ، ويندى وجهك بشراً . . وتشيع في جسمك لذة ، وفي قلبك بهجة ، وفي روحك نشوة .

هذه الاجواء المسحورة التي ترف بالنعم ساعة ، وتئن من الاسى ساعات ، هذه العوالم التي ترتع فيها طيوف الابالسة والملائكة والابطال ، هائجة مائجة ، مرددة نعبات الشرور ، وهزجات الحروب ، واغنيات الصفاء ، هذه الدنى التي تفور فيها الخلائق باسمة عابسة ، ضاحكة باكية ، هادئة ثائرة ، هي الاجواء والعوالم والدنى التي تقوم فيها الاساطير ، وعليها تدور .

*

وجد ادباء الغرب في هذه الآفاق المسحورة ينابيع ثرّةً عبوا منها . فقد وجدوا فيها مسارح قد تعرفها نفوسهم ، ويألفها خيالهم ، وتسكن اليها قلوبهم . وهل الاديب في خياله وشذوذه ورغباته ، غير اسطورة منمقة حيناً ، ومبتذلة حيناً ، تعيش بين الاساطير . وهل دنياه التي يعيش فيها ، ويحلم بها ويطرب اليها ، ويستمدها ، غير اساطير حسان ينسجها ويتوهمها . فلا عجب اذاً في ميل ادباء الغرب اليها ، وشغفهم بها .

كانت هذه الاساطير مظهر عبقريتهم ، وآية براعتهم . ولقد بلغ من شدة ولوعهم بها ان طرق الاسطورة كتاب كثيرون . ومن الطريف ان يتتبع الاديب اسطورة جميلة منذ مولدها الواجم حتى شبابها الباسم ، ويرى ما كانت عليه وما صارت اليه . لان كل شاعر يطرق الاسطورة من الناحية التي يهواها فيها ، وهنا يبدو ذوقه . ومن الناحية التي يبرع فيها ، وهنا يبدو خياله . وفي كلا الحالتين ، تبدو عبقريته وقدرته . ثم يكون للادب وللناس ، من تلك الاسطورة التي كانت في قديم عهدها ساذجة فقيرة ، صورة كستها الاجيال الكمال ، وجعلتها تقطر السحر والجمال

*

ولعلك تسائل عن مصادر هذه الاساطير في الغرب .

اما المصدر الاول ، فكان « التوراة » . فقد استمد منها الشعراء والكتاب اروع الاساطير . فاسطورة قابيل وهابيل ، واستر ، وجودا ، أخذت كلها من التوراة . على ان قصة قابيل اشهرها وامتعها . وقد قصها هوغو في « اسطورة الاجيال » Legende des Siècles » بخيال حلو ، وقص بارع . وذكرها بيرون في قصيدته « Caïn » . ونظمها لُكونت دُ ليل ، نظماً بارعاً ، وجعلها من بين « قصائده البربرية » التي استمد موضوعاتها من الشرق ، واليونان ، واسكندنافية ، وأيقوسة ، وارلنده .

وهؤلاء جميعاً اتخذوا من القاتل الاول الذي اهرق الدماء في الارض، موضوعاً لما كتبوه . رغم ان نهج كل منهم في العرض مختلف عن الاخر . فبينا صورها هوغو تصويراً فاتناً ، نجد بيرون قد جعلهـا رمزاً للرجل الثائر على ارادة الاله .

وكذلك استوحى كثير من شعراء الانكليز، تاريخ العبرانيين ، وقصيدة « ملتن » المسماة « شمشوم الجبار » مأخوذة منه ومن التوراة . . .

اما المصدر الثاني، فكان « اليونان » . فقد استقى ادباء الغرب من ادب اليونان القديم واساطيرها . فاستمدوا منها المآسي المفجعات، والملاهي المفرحات . اخذ عنها راسين موضوع مسرحيته « ايفجيني » من اوريبيد وكان قد طرقها سوفوكل من قبل وايشيل . واخذ موضوع مسرحيته « فيدر » ضحيـة غضب فينوس ، منه ايضاً . وكان قد طرقها « سينيك » ايضاً .

واستمد « كورنيل » من « اوريبيد » مسرحيته « ميديا » تلك التي ارتكبت من اجل لذتها كل فظيـع . فخانت اباها ، وذبحت اخاها ، وهيأت لبنات « بلياس » قتل ابيهن . ثم قتلت طفليها . . . كل ذلك في سبيل لذتها .

واعجب « بيرون » بقصة « هيرو وليانذر » العاشقين اللذين لفهما البحر بجرير من الزبد ، وحملهـا الى احضانه . فنظمها . وكذلك احبها « ارنولد » فكتبها .

واستمد « دُ ليل » من هذه الاساطير ، مـادة « لقصائده القديمة » ولمسرحيته المسماة « Les Erinnyes » التي استوحاهـا من ايشيل . واستوحى « شللي » و « بيرون » و « ارنولد » و« كيتس » و « كولدرج » اساطير فينوس ، السوسنة الوردية ، ونظموا عنها احلى القصيد .

وفي ايامنـا رجع « فاليري » و « وجيد » وجيرودو » الى اليونان ، واستمدوا من اساطيرها وادبها .

اما المصدر الثالث ، فاخبار العصور الوسطى . فقد كانت هذه العصور، بسبب ما احاط بها من غموض وخفاء، مرتعاً لحادثات كبار كالاساطير . فاستمدوا منهـا « مغامرات ميلوزين » و « مغامرات كريزيليديس » وحاكوا حول « فرسان الدائرة المستديرة» اسطورة من امتع الاساطير، كتبها في العصر الحالي « تينسون » و« سبنسر» الانكليزيين .

على انك تجد الى جانب ما ذكرت، اساطير انتزعت موضوعاتها من التاريخ . وكانت حقيقة بادىء امرها . ثم زيد عليهـا وانقص منها ، ثم وشتها الخيالات، حتى اصبحت اسطورة مزركشة طريفة . كشخصية « كليوباطرة » في العصور القديمة ، والملك « شارلمان » وحفيده « رولان » . والشاعر الطواف « رودبل » أمير بلاي الذي احب اميـرة طرابلس ، وكالاميرة « Inés De Castro » البرتغالية ، التي احبت ، فراحت تذرف الدمع على المسارح . وكجان دارك التي انقذت الوطن الفرنسي . بل ان هناك شخصيات حديثة حاكوا حولها نسجاً بارعاً من نسج الاساطير ، كمدام رونالد ، ونابليون ، وغاريبالدي ، وغيرهم .

وقد اتخذت بعض هذه الاساطير منحىً رمزيـاً عند بعض الشعراء ، وخاصة اذا كان اشخاصهـا محاطين بغموض وخفاء . وهكذا اصبحت اسطورة « تريستان وايزو » اللذين شربا من الشراب المسحور فوق القارب ، اقول اصبحت رمزاً للحب الخالد الذي يربط بين قلبين جمعهما القدر ، رغمـاً عنهما ، محبين هائمين ، يودان ان يجتمعا ، فلا يفجعهما البين . فهما يشعران انهما مسوقان بدافع قوي الى احتقار العـادات والتقاليد التي تمنعهما من التمتع بحبهما .

على ان اسطورتين من هذه الاساطير الرمزية ، كان لهما شأن كبير ، وهما « فوست » و « دون جوان » . اما فوست فقد فتن بها ادباء الغرب من فرنسيين وألمان وانكليز ، واتخذوا من الدكتور فوستوس ، ذاك المخرق السيميائي ، والعـالم الطلعة ، موضوعاً لدراسـات وروايات . وقد اوحت هذه الاسطورة الى « بيرون » قصيدته « Manfred » والى « جورج صاند » ، قصيدتها « اوتار الليرالسبعة » والى « موسه » قصيدته « الكأس والشفاه » .

اما دون جوان . فقد اعجب بهـا كثيرون ، واوحت قصة لاسكندر دوماس ، ومن قبل لموليير ، ثم لبيرون وموسه . حتى ان « جاندارم دُ بيفوت » ألف كتاباً خاصاً عنها سماه « اسطورة دون جوان ، من مولدها حتى عصر الابداعيين » .

وفي العدد القادم نبين اثر الاساطير في الادب العربي .

دمشق صلاح الدين المنجد

غدنا الاجتماعي

بقلم عبد الله العلايلي

اغتبط وانا اجدني في مناسبة قومية تدعوني لحديث قومي، ولا بدع في ان اغتبط ولا بدع في ان تشملني نشوة لاذة ايضاً. فان القومية شعور بالوجود، شعور بمكان الشخصية وبما يجتمع فيها من الخصائص والقوى، وبما هي مهيأة لابداعه. فان صفة الخلق والابداع تتصل اتصالا وثيقاً بما فينا من ذاتية، بما فينا من شخصية خالقة.

في مفهومنا ان الرغبة بالقومية ليس لانها سبيل الى الاستقلال وطريق الى الحرية والحكم الذاتي، فان في اية دعوة انسانية سبيلاً الى ذلك جميعاً. ولكن لان القومية سبيل الى الشخصية المتحيزة، سبيل الى الوجود الارادي والاعتداد الخالد الذي لا يعروه ضمور ولا اضمحلال، ثم لا يمشي عليه عدم او فناء.

لاحظوا معي في التاريخ وفي التاريخ كله، ان الابداع العبقري لم يكن ابداً وليد رغبات مطلقة عامة، بيد انه كان وليد رغبات قومية دائماً.

تسود اليوم المدارس التاريخية على اختلافها، نزعة تعلل التوسعات العالميـة كالتوسع اليوناني والروماني والعربي، بيقظة القومية التي من شأنها ان تعبىء كل القوى والامكانيات كي تطبع شخصيتها. وما اضمحلت الشخصية القومية في امة، الا وتبعها اضمحلال مستوى الكفاءة لدى الجماعات والافراد جميعاً. لهذا ولهذا وحده نحن ننادي بالقومية، ونثير حديثها ولا نفتأ نعمل لها ونكافح بسبيل اشاعة روحها ناهضة ناشطة ...

غبر الناس وهم ينظرون الى المحيط الخاص، كعامل خارجي هام في التنوع الاجتماعي، واضافوا اليه ما يمتاز به كل مجتمع من خصائص، هذه الخصائص التي تشملها كلمة « النوعية الاجتماعية ». وقد ذهبوا يعدونه على كافة مظاهر النشاط البشري، ويعنون على اساسه بدرس مدنيات التاريخ واوضاع الاجتماع للامم.

ورغم ان هذا الرأي بدرجة بالغة من الوضوح، نرى ان نظرية المحيط وبالتالي النوعية الاجتماعية، قد اضحت فاسدة. ويزيدها فساداً ان يبنى عليها الصرح الاجتماعي القومي، وان كنا لا نشك في انها كانت عاملاً اجتماعياً هاماً فيما مر من ادوار التاريخ.

واما اليوم فقد تراخت حواجز المحيط الخاص، وتداعت تداعياً يكون من الخطأ الكبير اتخاذه قاعدة للوضع الاجتماعي، لان الاواصر الاجتماعية في العصر الحاضر اتخذت صورة تختلف اختلافاً تاماً عنها في العصور السابقة.

فان اتصال اسباب العمران والثقافة والتربية والاختلاط اللغوي والفكري والتشابك المصلحي، اوجدت وحدات عامة ومكيفات عامة، تخطت الحواجز الوسطية القائمة وتجاهلتها في حركة تموجها السريعة الشاملة. فنشأ من هذا حالة تداخل اجتماعي آخذة بالمد، وغدا كل مجتمع يحتضن مثلاً مما يحتضن المجتمع الاخر، وبرزت حركة التجاوب بين المجتمعات بعد ان كانت واقعة في صموت، فلم يكن لاي صوت في مجتمع صدى او رجع في مجتمع آخر.

ومن هذا يتبين انه لم يعد في الاجتماع الا محيط عام يجمع الامم، ويظهر باثره في الشعوب المتمدنة منها بصورة اكثر واقعية. واما المحيط الخاص فقد تلاشى تقريباً، وقد يتلاشى تماماً لان في كل امة مزيجاً يتدعم بالسمات العامة. ويتلخص من هذا :

١ – لانوعية اجتماعية ثابتة.

٢ – لا اثر للمحيط في الاجتماع، او لا حواجز وسطية.

وهذا النظر ينتهي بنا الى تقرير وحدة الاجتماع كنظرية اولية في كل تنظيم قومي، ويتفرع عنها ان التيارات التي تتصل بمجتمع تؤثر حتماً في كل مجتمع آخر. وينبغي ان ننبه على ان الملاحظ في الوحدة الاجتماعية، ليس الغاء الفروق والتماثل تماثلاً تاماً من كل وجه. فان المجتمع الواحد للامة الواحدة لايحظى بمثل هذه الوحدة، وانما الملاحظ فيها الاشتراك في المكيفات والموجهات العامة.

وهذه ظاهرة اجتماعية ثابتة في المجتمع الانساني، ولذا يظهر الساسة تخوفهم من الافكار المتطرفة وان تكن موجودة في محلها البعيد، ومن الثورات الاهلية لما لها من الانعكاس والتجاوب. وقد عبر عن هذا احسن تعبير « ليتفنوف » في ندوة عصبة الامم بمناسبة حرب الحبشة : بان السلم اليوم الذي هو مظهر من مظاهر الاجتماع المتداخل وحدة لا تتجزأ، فاذا انتقض طرف منه انتقضت الاخرى.

والغاية من نقض نظرية المحيط والتنوع الاجتماعي، ان ننمي في التنظيم القومي، بدرس الآفات والعلل في كل مجتمع وكل نظام، باعتبار ان لها مساساً بمجتمعنا ضرورةَ وحدة الاجتماع. وان نفكر في احتياط كافٍ، حتى لا يتأثر تنظيمنا الاجتماعي بشتى المؤثرات التي قد تعلق بمجتمع آخر.

وليس الغرض من نقض نظرية المحيط، الدعوة الى الفناء القومي

في المحيط العــام وملاشاة كيان اجتماعي في كيان آخر، فهناك الشخصية القومية التي لا يزال الكائن ولن يزال، يقدسها ويحاذر العبث بها وبكيانها.

ان الاشتراك الاجتماعي حل محل التنوع الاجتماعي ما في ذلك ريب، وتمددت في كل مجتمع نفس العوامل في المجتمع الآخر. فقام المستوى الاقتصادي العام على الآلة كقطب مركزي، وقامت الحياة العامة في جوانبها الاخرى على الصفة المادية، فلم يعد بد من تجاوب المجتمعات.

لذلك اصبح لازماً علينا ان نشخص الآفات العامة في الاجتماع الحاضر قبل اعطاء اية فكرة في الاجتماعية العربية، واظن ان غير ذلك لا يكون كفيلاً بالوصول الى الهدف الحقيقي المنشود، بل نكون عاملين بوحي العدوى.. وان التيارات العامة في المجتمع البشري الواسع التي جعلته محموماً واوجدت فيه حالة الارتباك هي:

١ — الصفة العقلية وحدّة النقد.

٢ — اضمحلال الرموز المثالية.

٣ — صراع الفردية والجماعية.

٤ — الخضوع لافكار رجعية.

٥ — الانتاجية الآلية او جشع الانسان في مطالبة الطبيعة.

٦ — عدم التعاون الاقتصادي في محيط اقتصادي متواصل.

٧ — اخذ الطبيعة بالاثرة البشرية والاستقلال في الاستغلال.

سبق لنا في عدد ١٠ السنة الثالثة من الاديب ان عالجنا بالبحث التيارين الاولين، وانتهينا هناك الى ان الانسان اليوم اقام فكرته على واقع الحياة في نحو عقلي، فسعى وبذل الجهد في جو اضمحلت رموزه فاطلق لغرائزه الحيوية عملها في نهم وشره، وفي استباحية من اية طريق، وهذه نتيجة طبيعية للفكر الذي لم يعد ما يسيطر عليه. اذن فالانسان لا بد له من رموز مثالية، وهي لا تكون عقلية خالصة لان العقل طلعة وان كان عامل تطويرها وارتقائها. فيجب ان تكون مثالية روحية ولكنها لا تملك لنفسها القوة على السيطرة والتوجيه، الا اذا اخذت صفة الغريزة بحكم حيوية الانسان. فالاصلاح الاجتمــاعي لا يتم الا اذا توافرت الرموز الروحية، وكانت بشكل غرائز ادبية. والذي يفيدنا من هذا في الحقل القومي:

ان نعرف كيف نجنب المجتمع العربي من تركز الصفة العقلية كقاعدة له. وان نحسن تهيئته العقلي تهيئاً لا يعدو على اطمئنانه وصوفيته. وان نوسع الحيــاة في المجتمع العربي لاحلال الرموز الروحية المنتخبة طبيعياً. وان نروض الكائن العربي عليها رياضة تجعلها طبعاً وغريزة. وان نعنى بان لاتكون رجعية تعترض حركة الارتقاء المطردة، بل مشتقة من صميمه في الجانب الاخلاقي وتتسع له بمرونتها في الجانب الاعتقادي.

صراع الفردية والجماعية: كان احساس الجماعة بشخصيتهــا ومكوناتها، حدثاً هاماً في تاريخ البشر يلي اهمية احساس الفرد بشخصيته، ولعل الاحساس بالفردية كان ممهداً كبيراً في النشوء الاجتماعي للاحساس بالجماعية.

وهذان الاحساسان لم يصطلحا بحيث يكون احدهما مقدمة للآخر، بل دخلا في صراع لم يزل يجر الكائن الى ميدانه ولم تزل معركة التناحر بينهما حامية. وذلك لان شخصية الجماعة مركب شعوري واجتمــاعي واقتصادي من وجه، ومن وجه آخر كسر للانانيات الفردية التي لا تسمح بتكوين هذا المركب.

ومن المقرر الثــابت ان الاجتماع لن يستقر استقراراً طبيعياً، الا اذا مر الفكر البشري نفسه بعين المراحل التي مر بها الكائن الحي، من فكرة الفرد الى فكرة الاسرة الى فكرة المجتمع. ونحن نجد ان الانسان القديم فكر بخلوده بعد الموت حيوياً، فضن بمقتنياته كلها ودفنها معه «كتوتعنخ آمون» كي يعود فيستعملها ثم ادركته نقلة جعلته يفكر بخلوده في الاسرة، فنحيا الحب والجهد ونقل اليها مقتنياته فنشأ الارث. على ان الانسان اليوم بدأ يتحسس خلوده في المجتمع، ولكن لم تسيطر عليه فكرة هذا الخلود على الشكل الذي سيطرت عليه في الاسرة، فاذا تم له ذلك يسجل نقلة هامة في سبيل الاستقرار الاجتماعي الصحيح.

اذن فالاجتماع لا يستقر الا اذا اصبح الفكر نفسه اجتماعياً، والانسان اليوم لما يزل في دور الاسرة فعلينا ان نستعين بالتربية على تحويل فكرة الكائن من انه خالد في الاسرة — التي احاطها بكل شيء ونقل اليها كل ما يملك — الى انه خالد في المجتمع..

وينبغي الآن ان نشخص طابع المدنية الحديثة، ليتشخص لنا ما يجب انتهاجه في الحقل القومي العربي.

قد لا يكون محلاً للخلاف ان الطابع العصري للمدنية الحديثة هو الطابع الجماعي، ولكن الفردية مع ذلك لا تزال تشغب عليها، كما ان الجماعية لم تتركز تركزاً صحيحاً. فالنظم القضائية تحمي الشركات واصحاب رؤوس الاموال حماية فيها عدوان على استقلال الفرد الذاتي، ونظام النقابات الحديث انتقل بالقانون من حماية جماهير الشركات الى حماية جماهير العمال، فتغير الحال في ظل الطابع العصري

من استبداد الفرد الى استبداد الجماعة .

ومما لا شك فيه ايضاً ، ان افناء الشخصية الفردية في جوف الجماهير ليس نشوزاً ، بل انحراف فيه عدوان على عمل النشوء .

اذن فلا بد لكي تسود حالة اجتماعية ثابتة من العمل على التماثل الفردي في ظل الاواصر الاجتماعية ، وبذلك يقوم المجتمع على قوتي الدفع عند الفرد والجذب عند الجماعة .

والحق ان صرختي الفردية والاشتراكية ، ليستا في الواقع الا تعبيرين ينمان عما يتطلب النوع البشري من السعادة . واذا اردنا تحليل طبيعة هاتين الفكرتين ، نجد اولاهما اي الفردية تعبر عن نظام الحرية والاخرى اي الاشتراكية تعبر عن نظام العمل .. والذي يفيدنا من هذا في الحقل القومي :

ان نحافظ على الاستقلال الذاتي للفرد في ظل الاواصر الاجتماعية سواء في التشريع والادارة والتنظيم العام ، وبعبارة اخرى ان تكون اجتماعيتنا مزيجاً من الفردية والاشتراكية . وان نستخدم التربية في تحويل فكرة الفرد من الخلود في الاسرة الى الخلود في المجتمع ، وبذلك تنقلب الفكرة القومية لبانة حقيقية ووجداناً .

الخضوع لافكار رجعية او الرجعية العالمية في الفكر : تسيطر اليوم على العالم من كل اقطاره رجعية منكرة في الفكر ، فالفكرة الدينية والفكرة العنصرية وكذلك الفكرة الاستعمارية والتحاجز بين الشرق والغرب الى اشباهها من القضايا الكثيرة ، طوابع نموذجية عامة . وانا اتناولها هنا على وجه التمثيل وبيان مقدار مـا لهذه الرجعية من بروز في معالم المدنية الحديثة التي آذنت بالفساد . ففي اوربا حيث الفكرة العلمية بلغت درجة سيطرتها وتركزها ، ومن مستتبعات هذه الفكرة ان لا تستضيق باي رأي او نزعـة ، بل تتسع لكل رأي وكل اتجاه ، نجد النزعات التعسفية التعصبية لا تزال بارزة على شكل مشفوع بالحمـاس والمبالغة في اظهـار انانيتها .

ومهما يكن من شيء فان هذه الرجعية لم تتورع عن التحدي المنكر والعبث بالمقدسات ، التي كان من نتائجهـا تحاجز الشرق والغرب وظهور الهوة بينهما وهي تزداد مع الايام سعة وعمقـاً ، واتصال الاحداث الكبيرة التي كان لها ابلغ الاثر في القضاء على صفة السلام .

ويكفي للدلالة على هذا ان نستعرض مـا حدث في الفترة الواقعة بين سنة ١٩١٨ الى هذا التاريخ ، وهي فترة ضئيلة ولكنها اشتملت على احداث جسام جـداً . فقد كان في كل مكان وبالاخص الشرق العربي ثورة مستطيرة ، ولا ريب في ان هـذه الندوب والجروح العميقة تسببت عن استحواذ الافكار الرجعية الى مدى قصي . وهذا ما اضطر بريطانيـا سنة ١٩٣١ الى سن دستور « وستمنستر » ، الذي يقضي على الامبراطورية القديمة وعلى الروابط الاستعمارية . كما تظهر اليوم دعوات شتى للتقريب بين الشرق وبين الغرب . والذي يفيدنا من هذا في الحقل القومي :

ان نطهر الفكر العربي من كل الرجعيات الدينية والعنصرية والفكرية والاجتماعية .

الانتاجية الآلية او جشع الانسان في مطالبة الطبيعة : تنبأ ارسطو في كتاب السياسة قديماً « اذا اصبح من الممكن ان تعمل كرات المنسج من تلقاء نفسها ، واذا امكن ان يتحرك منقر القيثار من تلقاء ذاته ، لم يصبح هنالك من حاجة الى العبيد » . وهذه النبوءة تقضي بتحرير المجتمع من اسر الطبقات اذا عملت كرات المنسج وتحرك منقر القيثار ، ولكن تم واقعاً ما كان يحلم به ومع ذلك لم تتحرر الجيوش من العمال ، بل زادت الآلة في معنى استعبادهم وفي اشقاء المجتمع عامة من ورائهم .

وذلك لان الآلة كانت محاولة من الانسان لان يدفع آلام الاسر الاجتماعي الذي سيطر عليه بحكم الحاجة ، ولكن الاسر بعد ان كان حاجة انقلب شهوة . فنشر الافراد سيطرتهم على الآلات ، وهي بدورها عادت فاستعبدت الجماعة من جديد ، وقامت الآلة تمثل نفس الدور الذي كان يمثله الاقطاعي القديم . والحق ان الآلة بضخامتها مقاطعة متحركة ، ولها نفس القوانين والادارات .

ولا يسعني الآن ان اتعرض الى تفصيل الكلام عن آثار الآلة ، وانما اكتفي بالاشارة الى ما تركت من مساوىء :

١ – تركز المدنية الحديثة على الانتاجية الآلية وثبوتهـا كشيء جوهري فيها .

٢ – مشكلة العامل التعس الذي ارتبط بالحيـاة على لونها الآلي ، بحيث لا يستطيع الانفصال .

٣ – نفسية العمال المتدهورة بما بثت طريقة العمل .

٤ – تولد اشتراكية المساواة غير الطبيعية .

٥ – سيطرة الفئة البلوتوقراطية .. والذي يفيدنا من هذا في الحقل القومي : ان لا نسارع بغرور وسذاجة الى قلب موارد حياتنا ، من طبيعية الى صناعية مرة واحدة وبنسبة كبيرة . واذا فكرنا بالانتاجية الآلية ، فيجب ان يكون الانتاج والاستهلاك

قوميين اي ان تُحقق فيه صفة الصغر والبطء . وان تشرك العمال في الآلة فوق الاجور ، وان تحقق اشتراكية التعاون القائمة على الاستقلال الذاتي للفرد دون اشتراكية المساواة .

عدم التعاون الاقتصادي في محيط اقتصادي متواصل : في التبـادل الاقتصادي ككل المرافق الاخرى ، نزعة خطرة تأخذ به مأخذ الحماس القومي والتضخم القومي ، ولا اقول الثروة القومية لانه في اغلب الاحيان يأخذ شكل الشره رغم التشابك الاقتصادي العام ، والتواصل الدقيق الحساس .

وهذه النزعة الحادة ، مؤثر يجعل السلم غير صحيح ويضع في جنبه اداة الحرب . ونظرة في نظام التعريفة الجمركية كازدواج التعريفة والسوق الوطنية والغاء ضريبة الصادر ونظام الاسترداد « الدروباك » ، تقنع المرء بان التعـاون الاقتصادي منعدم رغم التواصل الاقتصادي الواقع ، ولن توجد قوة ما تمنع من هذا التواصل .

فامام هذه الحقيقة لا بد للنظم ان تتجه اتجاهـاً آخر يكون اكثر ملاءمة للتواصل الحر ، فان اكثر هذه النظم السائدة لم توضع لتخدم الشعوب ، وانمـا وضعت لتخدم مصالح الدول القابضة على الشعوب ، اما الشعوب نفسها فلا تستفيد الا انها تنجر تحتها الى الصراع والجلاد فقط .. ويجب ان ندرس هذه الناحية من الموضوع على هذه الاسس :

١ – ما قد ثبت من تجارب الامم من ان نشاطها اذا لم يصرف الا في مصارف محدودة ، كالاستغلال بالموارد الطبيعية دونما يشاد عليها من صناعات ، يصيب الحياة الاقتصادية بالركود .

٢ – نظرية «ليست» التي تتلخص في ان سعادة الدولة ودوام رخائها لا تتوقف على مبلغ الثروة التي تنتجها ، بقدر ما تتوقف على التنوع فيما تنتج . فالامة تكون اقدر على ابقاء تيـار النشاط الانتاجي في حركة مستمرة ، اذا تنوع بحيث توجه الى ما يتفق ان يكون اجزل ادراراً واعظم نفعاً واكثر ملاءمة لاطوار ارتقائها .
فكما ان الجسم الانساني يكون احسن صحة واوفر عافية ، اذا اتجهت عناية صاحبه الى انماء عضلاته انماء متناسباً ، مما اذا افرط في تقوية بعض العضـلات واهمل البعض الآخر . كذلك الامة تكون اكثر سعادة واشد بأساً اذا نوعت قواها الانتاجية ، ودأبت على انمائها جميعاً في اعتدال وقصد ، مما اذا افرغت كل ما لديها من قوة في بعض وجوه العمل .

٣ – ان الكائن الاجتماعي كالكائن الحي فاذا ذهب كل عضو يكاثر الاعضاء الاخرى يتقوى على حسابها ويضعفها الى درجة الافناء والابادة احياناً .

والمكاثرة الاجتماعية ظهرت اولاً في رغبة الجماعات والآن في رغبة المجتمعات ، فالاولى عقدت الحياة القومية في حد ما والثانية عقدت الحياة العامة في غير حدود . فتحل المضاربات الاقتصادية الفردية على اساس تقارب الكفاءة ، لانها تعين عمل الانتخاب في تأليف الجماعة القومية من افراد ممتازين ، وتحرم بتاتاً المضاربات بين الجماعات او المجتمعات لان تناحر الجماعة لا يؤدي ابداً الى الانتخاب بل الى الافناء ... والذي يفيدنا من هذا في الحقل القومي :

ان نأخذ بنظرية « ليست » من حيث ضرورة الانتاج الآلي القومي وتنويعه ، ولكن في حـدود الاستهلاك القومي ايضاً ، وان نصحح قوانين التواصل الاقتصادي على اساس نظرية الوحدات الاقتصادية الكبرى .

اخذ الطبيعة بالاثرة البشرية والاستغلال في الاستغلال : يقول « اوستن فريمان » في كتاب الفساد والتجدد الاجتماعيين « ان البشر باثرتهم يكادون يبددون احتياطي الطبيعة . وكذلك يقول كثير من الاحصائيين والخبراء العلميين في المخزون الطبيعي الذي يرتقبون سرعة نفاده ، مقابل انتاج آلي ليس ما يبرر الاسراف فيه والتزيد منه ، هذا الاسراف وهذا التزيد اللذين انقصا الحاصل الطبيعي المخزون بواسطة القوى ببطء ، وعقدا الحيـاة الاجتماعية بالكثرة واخلا بالتوازن . . والذي يفيدنا من هذا في الحقل القومي :

ان نستعد لاجابة كل ما من شأنه ان يصحح السلم . وان لا يعصف برؤوسنا جنون الاستغلال والانتاج الآلي ، فنلقي بانفسنا في اتونه بمقدار يزيد عن ضروراتنا .

هذا عرض موجز لحقيقة ما يعصف بالعالم اليوم ، وهو واقعي بدرجة انه لم يستطع انكاره كل من عالج قضية الاجتماعية العالمية . ولا ريب في ان نصيبنا من زعازعه المتناوحة ليس بقليل ، ككل محيط آخر لتراخي الحواجز الخاصة ، بما في الاجتماع الانساني من نزعة للتداخل . فكان واجباً اذن ان نتفهم الوضع القومي الصالح للمجتمع العربي على ضوء ما يعيث في المجتمع البشري من فساد وقلق ...

ونحن العرب ، يجب ان نشعر بان لنـا رسالة في انفسنا وفي العالم ، وهذه الرسالة انما نستطيع ابلاغها بالوعي الصحيح والتفهم الدقيق والاستيعاب الواسع . واننا لن نكون جديرين بهذه الرسالة الا بعنصرين ، الايمان بالنفس ، والايمان بالعالم ، وان اهم العنصرين الايمان بالنفس ، الذي هو ضمانة البقاء .

عبد الله العلايلي

صناجة الوادي

الى « اسمهان »

■

عند البلابل بين السفح والوادي ... بعض الاحاديث عن شجوي وانشادي
يا منهل الفن قد غاضت منابعه ... ماذا فعلت بقلب المدنف الصادي
تلك الاصائل من ورد ومن حبب ... وانت في صدرها ريحانة النادي
حتى تحكمت بالارواح فانطلقت ... فنحن من بعدها اطلال اجساد
هل الغناء اذا جرحت آهته ... سوى عصارة اكباد لاكباد
كأنه موجة بيضاء ناعمة ... يمشي الشراع بها في بحره الهادي
تأوي الاغاريد منه حين تألفه ... الى وريف ندي الظل مداد
وينثر الروض سكراناً براعمه ... كألسن الطير شقت نصف منقاد

•

من ذا سقى الروض؟ ماهذا الفتون به ... فلست ابصر فيه غير ميأد
كأن اغصانه لما برزت لها ... سرب من الحور في اثواب اعياد
يكاد يفتن مثلي ثغر وردته ... فيخطف اللحن قبلي من فم الشادي

•

اضاع جبريل من قيثاره وتراً ... في ليلة غاب عنها نجمها الهادي
وحار ، ليس يرى في الخلد بغيته ... ما معبد؟ ما ابو اسحق؟ ما الوادي[1]
حتى اطل على الدنيا فأذهله ... ان شق جوف الدجى ترجيع انشاد
فاهتز ترعش فيه كل جارحة ... كأنها ريشة في كف عوّاد
ومذ رأى « اسمهاناً » صاح يا وتري ... المفقود ، يا حليتي ، يا عيد اعيادي
وطار حتى اتى الوادي[2] وعاد الى ... الفردوس محتضناً « صنّاجة الوادي »

بشاره الخوري

---

(١) معبد وابو اسحق ابرهيم الموصلي وحكم الوادي من اشهر مغني العرب
(٢) وادي النيل

حول مقررات المؤتمر النسائي

بقلم السيدة املي فارس ابرهيم

اخذت الحركة النسائية في العالم العربي تزداد وضوحاً يوماً بعد يوم واخذت اهدافها ترتسم بخطوط تبدو جلية وتنفذ الى قلب المجتمع وتفرض لنفسها مكاناً سوياً بين القضايا الاساسية التي يجب معالجتها فيه . ولم يبق لاحد مجال للقول بان الوقت لما يحن لوضع مسألة المرأة على بساط البحث فان هذه المسألة قد بحثت حقاً وبشكل فيه كثير من الاهمية وكثير من الخطورة اذ ظهرت عنصراً قوياً من العناصر التي لابد من التعويل عليها في توجيه العالم العربي توجيهاً تقدمياً . وقد ثبت بالاختبار ان فوز الحركة النسائية في اي بلد كان يرافق دائماً تقدمه الاجتماعي اي ان نجاح الحركة النسائية كان دائماً عاملا تطورياً .

وقد تناولت معظم الاقطار العربية هذه القضية باهتمام كبير . . . وليس من الضروري ان يكون هذا الاهتمام ايجابياً ، وسواء أكان ايجابياً ام سلبياً فهو اهتمام على كل حال ، اي انه الشرط الاول لاخراج فكرة ما الى حيز الوجود . ثم تصبح امراً واقعاً . واذن ، فان اثارة قضية المرأة جعل هذه القضية امراً واقعاً ، احسن وضعه على بساط البحث لانه تناول جميع البلدان العربية في وقت واحد ووضع له منهاج للعمل واحد مما يساعد كثيراً على النجاح .

بقي على المرأة ان تحسن النضال كي لا تدع البلبلة والفوضى تتسرب الى صفوفها يوم تباشر العمل لتنفيذ خطتها فلا تفقد الفرصة الثمينة التي اتاحها لها انعقاد المؤتمر النسائي العربي في القاهرة والذي ادى الى اتخاذ المقررات الآتية :

البند الاول — الطلب الى الحكومات العربية العمل للوصول تدريجياً الى تأمين المساواة بين النساء والرجال في الحقوق السياسية . وبانتظار تحقيق هذه المساواة قرر المؤتمر الطلب من الحكومات العربية تعيين نساء في مجالس الشيوخ والمجالس النيابية والاقليمية .

انتهى نص البند الاول من المقررات واقول : ان كلمة « تدريجياً » الواردة في الطلب الى الحكومات العربية العمل للوصول الى تأمين المساواة بين النساء والرجال انما هي كلمة نابية ولم يكن من المستحسن حشرها في هذا الطلب لان فيها تحفظاً وتريثاً يقللان من فاعلية الجرأة المرتكزة على الحق في طلب المساواة . ذلك لان الوصول الى هذه المساواة لا يتم الا تدريجياً بطبيعة الحال شأنه شأن اية نظرية جديدة في كل مجتمع .

اما الفقرة الثانية من هذا البند ، اي الطلب الى الحكومات العربية تعيين نساء في مجالس الشيوخ والمجالس النيابية والاقليمية بانتظار تحقيق هذه المساواة فطلب وجيه من شأنه : أ — ان يعمل على الاسراع في الخطوة الاولى لتحقيق نيل المرأة حقوقها السياسية .

ب — ان يترك للرجل ، الى حين ، صلاحية اختيار ذوات الكفاءة لاشغال هذه المناصب فتحصل التجربة التي يكون من نتائجها : رفع شأن المرأة اذا ما هي اثبتت كفايتها في القيام بالمهام التي تسند اليها على اكمل وجه . او ان تخفق التجربة في حالة فشلها .

واقف هنا ، فأنبه الى خطر عظيم في هذا المطلب ، كنت اود ان يتجنبه المؤتمر ، وهو : فكرة « تعيين » في المجالس النيابية ، فسيداتي المؤتمرات يعلمن ان المجالس النيابية هي عنوان السيادة الشعبية في الامة ، والاداة المباشرة لممارسة استقلالها الصحيح ، و « تعيين » افراد مهما سمت مواهبهم ، وايا كان الدافع الى تعيينهم في مجلس منتخب من الشعب انتخاباً حراً ، انما هو انتقاص من سيادة الامة ، وقد يكون سبباً في ابعاد دفة الحكم عن اسس الديمقراطية وامالتها نحو الطغيان — والعياذ بالله — وهذا مسعى لا ترغب فيه المرأة ، بل ليس هو من مصلحتها الحقيقية في شيء . واذا جاز في احوال استثنائية ، وفي بلدان خاصة ، مبدأ التعيين في مجالس الشيوخ ، فلا يجوز مطلقاً في مجالس النواب المنبثقة انبثاقاً مباشراً من ارادة الامة وهي وحدها صاحبة السلطان كله .

وبعد هذا التنبيه والاستدراك اقول : ان الفقرة الثانية من البند الاول لمقررات القاهرة فيها كثير من الثقة بالنفس التي لا تخشى التجربة ، او الامتحان على الاصح وانها لثقة مستحبة

البند الثاني — الطلب الى الحكومات العربية تعيين نساء في المراكز التي يشغلها الرجال . ولا ريب في ان هذا البند يقصد منه التدليل على ضرورة اعتبار المرأة مساوية الرجل في جميع فروع الحياة السياسية منها والاجتماعية على السواء ، ووجوب فسح المجال امامها للوصول الى المناصب التي يشغلها الرجل .

ثالثاً — تقييد حق الطلاق بما لا يجعله اداة اضرار بالمرأة وبما لا يتنافى مع اصول الشرائع في حالة الطلاق او الفرقة .

اقول وكان من الصحيح والحق لو اضيفت كلمة اسرة الى هذه الجملة ، اذ لا يخفى على اي عاقل ، ما يحدث من تفكك وتفسخ في الاسرة يوم تتوالى امام الاولاد وجوه مختلفة لتسنم مكانة يجب

ان تكون على كثير من القدسية والاحترام والحب العميق ، اعني مكانة الام في نظر الولد . . ولا يخفى ما يحدث من تباعد بين افراد الاسرة الواحدة يوم لا يكون اولاد الاب الواحد مرتبطين برابطة الامومة الواحدة . . ولا يخفى ايضاً ما تخلقه هذه الحالة الشاذة من النقمة ثم الكره، ثم الانكماش على النفس ثم الجفاف في العاطفة والعقم في الفكر في نفس الولد الذي ينشأ محروماً من عطف الام ، هذا العطف الذي كثيراً ما يؤدي الى اكمل سيكولوجية يمكن ان تحددها اية فلسفة بشرية . وهذه السيكولوجية العاطفية من قبل الام قد تكون اقدر عامل على توجيه وعي الولد الواضح المنعطفات في حس الام فقط ، توجيهاً مفيداً ، مثمراً قد لا يتوصل الى نتيجته الايجابية افضل المربين . واسمح لنفسي ان اقول انه قد يكون لهذا العامل الشاذ في انشاء الاسرة العربية اثره السيء . وفي تكوين المجتمع وتطوره لانه يفتقر الى عناصر غنية في العاطفة الانسانية .

رابعاً — جعل الحضانة للام الى وقت المراهقة في الجنسين ما دامت اهلا للحضانة . وبعد حد المراهقة تكون الحضانة للاصلح من الوالدين حسبما يراه القضاء لمصلحة الطفل » .

خامساً — « الحد من سلطة الولي اباً كان او جداً بما يجعل هذه السلطة مماثلة لسلطة الوصي » .

سادساً — تقييد تعدد الزوجات الا باذن من القضاء في حالة العقم او المرض غير القابل الشفاء » .

واقول اني : اكرر بصدد هذا البند ما قلته عن البند الثالث .

سابعاً — « في حالة الطلاق تعوض المرأة عما يصيبها من ضرر بسبب اساءة الرجل استعماله حقه في الطلاق » .

ثامناً — « رفع النسبة القابلة للحجز في مرتب الزوج الموظف الى الحد الذي يتسع للانفاق على زوجه واولاده » .

تاسعاً — « تحديد السن الادنى لزواج الفتاة في جميع البلاد العربية بست عشرة سنة والدقة في تنفيذه » .

اقول : ان هذه القضية هي مشكلة اجتماعية عربية من الخطورة بمكان . فزواج الفتيات الصغيرات « الطفلات » كثيراً ما ادى الى ردة فعل عنيفة في نفوسهن الساذجة التي رباها المجتمع العربي في جو محدود الافاق من حيث الحياة العملية وعكس الآية فاطلق خيالها في اجواء فسيحة ، مليئة بالاوهام العاطفية التي تمت بصلة منطقية الى حقيقة الواقع . وكان من البديهي ان ينتج هذا الزواج المبكر احد امرين اثنين : اما ان تقع الصغيرة في خيبة تقتل فيها ميزة الحس والانطلاق الخيالي المعقول فتنشأ فيها شخصية اقرب ما تكون الى البله او الضعف المعنوي حتى لتكاد تعتقد بانها آلة او دمية يلهو بها زوجها على نحو لا تفهم الدافع اليه ، ومن هنا يتولد عند الكثيرات من الزوجات الصغيرات هذا النوع من الانقباض العاطفي، الذي يحفر هاوية سحيقة بين نفسية الزوج ونفسية زوجته الصغيرة اذ لا يشعر باي انطلاق فيها نحوه فلا تقوم الالفة بينهما ولا الثقة . وهكذا يبقى في حياة الزوجة العربية فراغ مرير ونقمة صامتة لا مجال للترويح عنها ، منها ، في مجتمع ضيق .

واما ان ينتج من الزواج المبكر الامر الثاني وهو : ان تموت في نفس الزوجة الصغيرة جميع الامكانيات العاطفية النبيلة وتستيقظ فيها الحماسة الجنسية وحدها فتسيطر على مخيلتها ولا تعود لتعرف لوجودها مبرراً سوى كونها خلقت لتتمتع بهذا النوع من التحسس .

وفي كلا الامرين نقص في اكتمال شخصية الزوجة الصغيرة يسبب لها عجزاً عن القيام بمهمتها كزوجة ترضي احتياجات زوجها النفسية او عن القيام بمهمتها كأم يجب ان تتوافر عندها شروط الطمأنينة الكاملة والامل السعيد، ذلك لانها في الحالة الاولى تكون منطوية على نفسها ، فاقدة كل حيوية لا تقوى على اي جهد عملي ، وفي الحالة الثانية ينحصر اهتمامها في ناحية واحدة اشرنا اليها في ما تقدم .

عاشراً — « المساواة بين الرجل والمرأة في احكام قانون العقوبات »

١١ — « وضع تشريع يبطل ما يصدر من عقود او تصرفات من شأنها الاجحاف بحق المرأة في الارث زوجاً كانت او بنتاً »

اما البند الثاني عشر ، وهو حذف نون النسوة من لغتنا فما كان موضوعه يوماً يهم المرأة الجادة التي تسعى الى هدف اسمى من اضاعة الوقت في مثل هذه النون ، واظن ان مؤتمر القاهرة لم يبحث فيه الا من قبيل التنبيه الى رنة غير مستحبة على السمع وقد سها عن بال التي مزحت واثارته في جلسة « نون المؤتمر » ، سها عن بالها انه ليس من صلاحية المجمع العلمي الا تسجيل واقع جديد او تسجيل اضمحلال لفظة ما في اللغة ، وليس من صلاحيته ان يقرر التغيير ويأمر به ويفرضه على الناطقين فرضاً . فالذين يسوءهم اسماع هذه النون يجب عليهم ان يدعوا الناس الى عدم استعمالها زمناً فيتسنى بعدئذ للمجمع العلمي تسجيل هذا الواقع الجديد ، اي اهمال النون التي لن تهمل مادام على اديم الارض بشر ينطق بلسان القرآن .

وبعد فان مؤتمر القاهرة رفع شأن المرأة في العالم العربي كما رفع من شأن الرجل ، سدد الله خطانا جميعاً الى ما فيه تحرير المرأة في هذه الاقطار وجزى السيدة الجليلة التي دعت اليه خير جزاء .

املي فارس ابرهيم

غدنا الاقتصادي

بقلم
كمال جنبلاط
عضو مجلس النواب اللبناني

وقد تعرض الى النظام الكتلوي الذي تحدثنا عنه في العدد الماضي المستر كينت وليامز خلال مقال نشره في Asiatic Revew عرفنا عنه القليل من الجرائد اليومية ولم يصلنا ويا للاسف بعد . وقد عرض فيه لمشروع الوحدة العربية وابدى فيه اعتقاده بانه من المحتمل ان ينشأ في الشرق الاوسط اتحاد اقتصادي على الاقل وان هذا الاتحاد الاقتصادي لا يرضي رغبات العالم فحسب بل يتفق ايضاً مع رأي اهل الشرق الاوسط الذين يتكهنون بان هذه البقعة من الارض ستتمتع بالرخاء والتقدم في ظل التآزر التام والقضاء على الديكتاتورية الاقتصادية . (الاحرار في ٢٥ نيسان سنة ١٩٤٤) .

والى هذا النظام الكتلوي اتجهت انظار المؤتمر المالي الذي انعقد في القاهرة اخيراً في آخر نيسان سنة ١٩٤٤ وقد رحب المؤتمر بانشاء مكتب احصائي لدول الشرق وجاء في البند العاشر من المقررات :

« يرحب المؤتمر بما يدور الآن بين الامم المتحدة والمشتركة من مباحثات ترمي الى انشاء اداة دائمة لتحقيق ما يهدف اليه من التعاون واستقرار النقد بين الدول »

ان الكتلة الاقتصادية للبلدان العربية اصبحت اليوم على كل شفة دون ان يفهم في الواقع الكثيرون من الذين يتكلمون عنها ما هي اسسها وهيئاتها العامة ... لذلك سنبدي بعض الملاحظات بهذا الصدد :

١ً – من المسلم به ان هذه الكتلة الاقتصادية ستحتوي على ادارة مركزية جمركية شاملة لجميع دول الكتلة او مجلس جمركي اعلى ...

وهنا تقع المشادة بين الاتحاديين وارباب السيادة المطلقة : أيكون لهذا المجلس صفة استشارية فقط ام سلطة تشريعية وتنفيذية ايضاً ..

ان هذا البحث قد قيل فيه الشيء الكثير . وفي اعتقادي انه ليس هناك كبير فائدة من بعث وتطويل هذا الجدال ... اذ ان الروحية التي ستسيطر بعد الحرب هي التي ستقرر مدى سلطة امثال هذه المجالس العليا ... ونحن نترقب حتماً تعديلات عديدة ومهمة للسيادة الدولية المطلقة .

وللاوضاع الاقتصادية كلمتها ايضاً في هذا الموضوع فنشرع حتماً بتأسيس مجلس استشاري اعلى مع ابداء كثير من التحفظات والشذوذات ثم لا تلبث دول الكتلة الاقتصادية ان تشعر في الصميم بالفائدة من تكتلها فلا يمضي عليها زمن طويل الا ويزول تيار النفور والتخوف الذي كان يبعد الدولة عن جارتها ويشعر الجميع برابطة تزداد وثوقاً وقوة بينهم يوماً تلو الآخر ... فيسعون من تلقاء انفسهم لتخويل المجلس الاعلى سلطة التشريع . ثم ربما لا يمنع هذا النظام الدول ذوات العلاقة ان تعقد بينها معاهدات في الامور التي ربما يلاحظ انها تمس بصورة مباشرة او غير مباشرة سيادتها ...

٢ً – ان الكتلة الاقتصادية تتطلب توحيد النقد بين اعضاء الكتلة ... وهذا الشرط ليس ضرورياً لا يستغنى عنه بل يرمي الى تسهيل حركة المبادلات التجارية .. وفي كل حال يمكن الاستعاضة عن توحيد العملة بانشاء بنك ذي رأسمال كبير للغاية نفسها التي نوهنا عنها . وقد بحثت مسألة توحيد النقد في المؤتمر المالي الاخير .

٣ً – واخيراً – وهذه الملاحظة مهمة جداً في نظري – ان الكتلة الاقتصادية يجدر ان لا تزيل فجأة وحالاً وبصورة آلية جميع الحواجز الجمركية بين دول الكتلة الاقتصادية الا اذا كانت هذه الدول تتمتع بمستوى واحد من التطور الاقتصادي والفني .

لانه اذا كانت احدى هذه الدول – رغم فقر مواردها الطبيعية وضعف مؤهلاتها الاقليمية لانتاج نوع جيد من احدى المنتوجات المعينة لو كانت هذه الدولة تنتج هذه المنتوجات بتكاليف خفيفة

نسبة لاستعمالها اساليب الفن الحديثة تتمكن هذه الدولة من ان تزاحم فعلياً منتوجات دولة تؤهلها موارده لانتاج هذا النوع من البضائع ولكن بتكاليف باهظة لسبب فني او اقتصادي.. وهذه نتيجة معكوسة للغاية المتوخاة من تخصص البلدان في المنتوجات التي هي اخلق لانتاجها من غيرها.

ونورد على هذه النظرية بعض الامثلة:

يعلم القاصي والداني ان الاثمار الحمضية في بساتين صيدا هي من حيث النوع اجود بكثير من اثمار يافا وحيفا. فلو فرضنا ان تتاح بين فلسطين ولبنان حرية تصدير واستيراد هذه الثمار لهبطت في لبنان اسعار برتقال صيدا مثلاً الى مستوى لا تقدر به منتوجات البرتقـال في بلادنا ان تثبت في السوق دون ان تلحق المزارعين خسائر فادحة، وهذا يرجع الى ان زراعة البرتقـال في فلسطين تتمشى على احدث اساليب الفن الزراعي التي لم نتعرف بعد اليهـا في بلادنا.

والكلام نفسه يصح ان يقال عن صناعتنا الخفيفة التي لم تزل في طور بدائي، ازاء صناعات فلسطين المرتكزة على رساميل مالية كبيرة والمستندة الى اساليب فنية للإنتاج والتصريف مماثلة لاساليب الصناعة الاوروبية الكبيرة الحديثة.

وما نقصده في هذه الملاحظة هو انه يجب ان يتمكن كل بلد من بلدان الكتلة الاقتصادية من ان يتخصص بانتـاج ما تؤهله لانتاجه موارده الطبيعية دون ان يخشى منافسة احـدى الدول المجاورة في هذا الحقل.

فيجب ان يتاح مثلاً لسوريا ان تنتج الحبوب بشكل واسع وباساليب ميكانيكية وفنية حديثة. وعلى لبنان ان يستعيض تدريجياً عن انتاج القمح والشعير فوق هضباته الوعرة بمنتوجات اكثر اتفاقاً مع حالة ارضه وهوائه ومركزه الجغرافي.

وعلى هامش هذه الملاحظة كنا نريد لولا ضيق المجال ان نجيب على اسئلة كثيرة ربما تخالج ذهن القارئ، ومنها: مدى شمول الكتلة الاقتصادية العربية وما هي امكانيات دول الكتلة ومؤهلاتهـا للانتاج الخ... ولكننا سنرجئ هذه الابحاث الشيقة لوقت آخر ونلمح سريعاً الى الاهداف التي تصلح ان تسعى لتحقيقها في لبنان سياسة علمية واقعية.

يظهر من ابحاث الاخصائيين ان لبنان مرشح في المستقبل لان يتخصص بالامور التالية:

١ً – التجارة. فموقع هذا البلد الجغرافي على حدود مدنيات متنوعة وعلى شواطئ بحر من اكثر بحور العـالم حركة وتجارة يؤهل هذه البلاد ان تكون مركزاً مهماً للتجارة وخصوصاً تجارة الترانزيت وتجارة الاستيراد للتصدير التي اشتهر بها هذا الشاطئ الذهبي الجميل منذ فجر المدنية القديمة.

٢ً – السياحة والاصطياف وربما ايضاً الاستشفاء. (من السل وغيرها من الامراض) ولبنان جبل الشرق العربي..

٣ً – بعض المنتوجات الزراعية – الاشجار الحرجية واشجار الفاكهة والزيتون والكرمة وزراعة الخضار والزهور.

٤ً – بعض الصناعات الخفيفة: كصناعة تحويل المواد الزراعية والصناعات اليدوية البيتية Industries à domicile الاقليمية ويعتقد الاستاذ الاخصائي جوزف نجار ان من المحتمل ايضاً انماء صناعة الاسمدة الكيمائية وبعض الصناعات الكيمائية الاخرى في لبنان نظراً لتوفر القوى الكهربائية في وديانه.

٥ً – صيد الاسماك وربما ملاحة الشواطئ Cabotage الخ

وهذه الايضاحات تدلنا دلالة وافية على حقيقتين اساسيتين:

١ً – انه يجب ان يستوعب الانتقال من دور العزلة الى دور الاتحاد الاقتصادي فترة من الزمن. وهذه الفترة يقدرهـا بعض الاختصاصيين بعشر سنوات.

٢ً – انه من الضروري وضع خرائط استثمار للدول ذات العلاقة فلا تحصل المنافسة على غير هدى بل وفقـاً لهذه الخرائط الاستثمارية ويجري انماء موارد كل دولة طبقاً للخرائط المذكورة.

فيأتي تخصص كل دولة من دول الكتلة الاقتصادية مرتكزاً الى صفات ومؤهلات طبيعية واقليمية حقيقية لا على دعائم وهمية واهية لا بد ان تتقلص وتنهار يوماً من الايام بوجه تيارات التجارة العالمية، وبكلمة يجب ان يتاح لسنن المنافسة الطبيعية ان تعمل عملها على افضل صورة.

وهذه الخرائط الاستثمارية يجب ان تذكر:

١ً – المنتوجات التي قد حكم عليها بالابادة من اقتصاديات كل دولة من دول الكتلة الاقتصادية. ويجب ان يحصل هـذا الزوال والاضمحلال تدريجياً وان يمتد امده الى نهاية حقبة الانتقال التي نوهنا عنها حتى يتيسر لارباب المنتوجات المقضي عليها بالابادة ان يستعيضوا عنها بمنتوجات جديدة اخلق ان تنتجها البلاد من التي سبقتها، وذلك للحيلولة دون وقوع كوارث اقتصادية واجتماعية وتفادياً من ان تلحق بعض الدول او بعض الجماعات منها اضرار فادحة (البطالة مثلاً والخسارة المادية وهجرة الارياف الخ...)

وعلى هذه المنتوجات المحكوم عليها بالابادة ستخفض التعرفة الجمركية تدريجياً الى ان تزول تماماً يوم تنقضي حقبة الانتقال من نظام الحماية الجمركية الى نظام الكتلة الاقتصادية .

٢ً – وتحتوي الخرائط الاستثمارية على المنتوجات التي يجدر تشجيعها وانماؤها – اذا هي كانت موجودة – او خلقها من جديد وبعثها اذا كانت لم تظهر بعد الى الوجود . وهذه المنتوجات هي التي قدر لها الفن والعلم ومؤهلات البلاد الطبيعية بان تنمو وتحيا . وتبقى او ربما تظهر الحماية الجمركية على هذه المنتوجات ريثما تنمو هذه المنتوجات وتقوى لدرجة تقرب من الكمال فتبدأ آنئذ الحماية الجمركية في الهبوط تدريجياً الى ان تزول مع انقضاء حقبة الانتقال التي اشرنا اليها .

٣ً – واخيراً تشتمل الخرائط الاستثمارية – وهذا يستنتج جلياً مما سبق – على برامج وسياسة اقتصادية لدول الكتلة ترتكز على العلم الصحيح وموارد ومؤهلات الدول الطبيعية ... مثلاً كوضع مشاريع انشائية صحيحة مدروسة كالتي اشرت اليها في بحث سابق عندما تكلمت عن مشروع الحكومة اللبنانية التي ادعت انه مشروع انشائي خماسي . وباختصار انه عمل شاق كبير ذلك العمل التوجيهي والتدريجي الذي يجب ان تقوم به الدول اذا كانت تريد كما اشرت سابقاً ان تتفادى لبعض سكانها وجماعاتها كوارث اجتماعية واقتصادية لا مجال لذكرها هنا .

وقبل ان ننهي هذا البحث الذي وقفنا جهدنا ان نجعله بمستوى فهم جميع القارئين الكرام لا بد ان نذكر ان امثال هذه الكتلة الاقتصادية هي اقتباس حكيم بروح ديموقراطية وحرية وعدالة اجتماعية لذلك النظام الاوروبي النازي الجديد الذي حاول المستشار هتلر ان يفرضه على اوروبا بالدم والحديد والنار .

ما اسعد الديموقراطيات وما احرى بها ان تتقبل في الوقت المناسب ما تكتنفه الثورة النازية وتظهره من الحقائق الانسانية الدائمة وسط كثير او قليل من الاضاليل وروح البغضاء والتهديم ككل محاولة عنيفة للاصلاح هزت من قبل احقاب التاريخ ...!

وما اسعد الديموقراطيات اذ انها تكون قد مهدت السبل لسيطرة النظام الحقيقي على العالم ولحلول سلم صحيح بين الطبقات والشعوب – ولا اقول سلم دائم – بل سلم اكثر استقراراً واطول مدى وابعد انتقاضاً في طريق الانسانية المساعدة نحو النور والمجاهدة في سبيل خلق وبروز صور جديدة للحياة والمدنية وللشخصية البشرية .

كمال جنبلاط

الاديب

✱

– لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير) .

– تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :

في سوريا ولبنان : ١٢ ليرة لبنانية .

في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ما يعادلها ترسل حوالة بريدية دولية او حوالة على مصرف في بيروت

– الادارة غير مسؤولة عن الاعداد التي تفقد في البريد

– احتفظت الادارة ببعض اجزاء السنة الاولى والثانية فمن شاء من هذه الاجزاء فليطلبها وثمن الجزء من السنة الاولى ليرتان ومن السنة الثانية ليرة ونصف .

– تدفع الادارة خمس ليرات لبنانية ثمن النسخة الواحدة من الجزء الاول من السنة الاولى ١٩٤٢

وتدفع ليرتين ثمن النسخة الواحدة من الجزء الثالث من السنة الثالثة ١٩٤٤

– المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر .

✱

ادارة الاديب : شارع الاحرار ، غربي ساحة الدباس

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

سكرتير التحرير : بهيج عثمان

المدير الفني : مختار شملي

◆

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت – لبنان

اشعـــــر وفلسفة !

بقلم الاب يوحنا قمير
استاذ الفلسفة العربية بجامعة القديس يوسف

•

لابن سينا في النفس قصيدة شائعة ، هي قصيدة فيلسوف افلت لحظة الى عالم الشعر فلم يكن فيه غريباً .

على ان غفلة الناسخين قد عبثت بالنص تحريفاً وترتيباً ، وآراء الباحثين تضاربت شرحاً وتأويلا ، فرأينا ان نثبت نصاً تخيرناه ، وشرحاً آثرناه ، علنا نلقي بعض نور على فلسفة الشيخ الرئيس .

واليك النص اولا :

هبطت اليك من المحل الارفع   ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف   وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره اليك وربما   كرهت فراقك، وهي ذات تفجع
أنفت وما أنست ، فلما واصلت   ألفت مجاورة الخراب البلقع
واظنها نسيت عهوداً بالحمى   ومنازلاً بفراقها لم تقنع .
حتى اذا اتصلت بهاء هبوطها   عن ميم مركزها، بذات الاجرع
علقت بها ثاء الثقيل ، فاصبحت   بين المعالم والطلول الخضع
تبكي اذا ذكرت عهوداً بالحمى   بمدامع تهمي ولما تقلع
وتظل ساجعة على الدمن التي   درست بتكرار الرياح الاربع
اذ عاقها الشرك الكثيف وصدها   نقص عن الاوج الفسيح المربع
حتى اذا قرب المسير الى الحمى   ودنا الرحيل الى الفضاء الاوسع
وغدت مفارقة لكل مخلف   عنها ، حليف الترب، غير مشيع
سجعت وقد كشف الغطاء فابصرت   ما ليس يدرك بالعيون الهجع
وغدت تغرد فوق ذروة شاهق   والعلم يرفع كل من لم يرفع .
فلأي شيء اهبطت من شامخ   عال الى قعر الحضيض الاوضع ؟
ان كان اهبطها الاله لحكمة –   طويت عن الفذ اللبيب الاروع
فهبوطها – ان كان ضربة لازب   لتكون سامعة بما لم تسمع ،
وتعود عالمة بكل حقيقة   في العالمين – فخرقها لم يرقع !
وهي التي قطع الزمان طريقها   حتى لقد غربت بغير المطلع
فكأنها برق تألق بالحمى   ثم انطوى ، فكأنه لم يلمع !

ننتهي بك من قراءة هذه القصيدة ، ولا نخالك الا مشغوفاً بشعرها الفلسفي، بشعر بعيد الايحاء ، جم الغموض ، وفلسفة نهمة الى معرفة حيرى امام مجهول . وانا لنشعر بما يخالجك من ميل الى اعادة المطالعة ، ومن شوق الى حل الالغاز ، وازالة الابهام ، وانا لندعوك الى هذه الاعادة وهذا الايضاح، اذ نحاول الشرح والتأويل .

واول ما يسترعي النظر هو التبـاين بين هذه القصيدة وما نعرفه من آراء فيلسوفنا .

إنّا لم نعهد الغموض في فلسفة ابن سينا ، او نصادف الحيرة ، وان آراءه في النفس لصريحة هادئة ، فلمَ اضطرب الشاعر ، ففارق الفكر صفاؤه ، والعقل طمأنينته ؟

أيكون الشعر والفلسفة خصمين لا يتآلفان ؟ ولكن من ينكر شاعرية افلاطون وبركسون ؟ ام من ينكر فلسفة المعري ، والخيام ، وطاغور ؟

أتكون القصيدة اذاً منحولة ، دست على فيلسوفنـا دساً ، وزجت في كتبه زجاً ، وهو منها براء ؟ ان هذا لفرض محض ، لا يؤيده سند تاريخي ، او يبرره تردد عند الناسبين ، وان لابن سينا شعراً فلسفياً غير هذه القصيدة ، وان فرض النحل نفسه لا يبدد كل ما في القصيدة من غموض ، ومن تنافر بين الاجزاء .

واذاً فلنجابهن القصيدة شعراً لابن سينا صحيحاً ، محاولين تفهمها على نور فلسفته ، مهما ألفينا من ابهام ، وعانينا من جهد .

على اننا قبل الشروع في الشرح ، والمناقشة في ما بين فكرة القصيدة وفلسفة افلاطون من صلة ، نرى ان نذكرك بنظرية افلاطون في النفس ، في مصدرها ومعادها .

من تعاليم افلاطون وجود عالم روحي، ازلي ، لا متغير ، حوى كل مثالات الاشياء المحسوسة . فالناس ، مثلاً ، ليسوا سوى صور محسوسة ، وظلال ضئيلة متبدلة ، لمثال ازلي ثابت هو الانسانية . وهكذا باقي الاشياء المنظورة .

في عالم المثل هـذا كانت النفس البشرية ، تشارك في ازل ، وتسعد في علم ، وترتع في نعيم . ولكن جناية صدرت عنها واذا هي سجينة في جسد ، غريقة في شقاء ، تكفر عن ذنبها ، وتجدد من كمالها ، تكفر وتجدد ، في حيـاة او اكثر ، الى ان تدرك غايتها ، وتستعيد نقاءهـا ، فتنجو من التناسخ ، وتبرح التراب ، عائدة الى غابر هنائها في عالم الروح .

وان النفس ، يوم تُلقى في عالم المـادة ، تنسى عالم المثل ، وتذهل عن كل علم ، حتى اذا رأت المحسوسات ، وابصرت الظلال استفاقت من سباتها ، وعادت من ذهولها ، وذكرت مثلاً عرفتها ، وعالماً غادرته .

*

والآن اقرأ معي مطلع القصيدة :

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

فانت ان تجد عناء في ان ترى في الورقاء رمزاً للنفس، سيما اذا كنت طالعت « رسالة الطير » لابن سينا ، وصادفت فيها رمزاً مماثلاً ، ولكنك ستشعر لاول وهلة بانك امام نظرية افلاطونية ، وان ابن سينا يعتقد بوجود النفس قبل البدن ، وان هذا « المحل الارفع » ليس سوى عالم المثل .

وان هذا الاعتقاد ليرسخ فيك ، ويتمكن ، اذا تابعت مطالعة الابيات التالية (٢ — ١٠) . تمعن فيها تجد وصفاً لحالة النفس في الجسد مطابقاً كل المطابقة لفكرة افلاطون . هي النفس شقية في جسدها ، اتته كارهة ، وحلته سجينة ، وقاسته باكية . هو خراب بلقع ، وبدن ثقيل ، وطلل بال ، الكمال عنه غريب ، والمقام فيه نواح ، والرياح به عوابث . وان النفس انفت من حاوله وعز عليها ان تغادر مركزاً علوياً ، او تهجر حمى روحياً . . ولكن الزمان بالعزاء قمين ، والجوار عادة والفة ، ولهذا سكنت النفس بعد نفور واستوطنت بعد غربة ، وربما شقت عليها العودة ، وآلمتها القطيعة . وكأنها عالقة بين عالمين ، بين تراب ألفته ، وعالم روحي نزحت عنه ، ان ذكرت الثاني حنت وبكت ، وان نظرت الى التراب اشفقت من بعاده . ولكنها الى عالمها الاعلى أحن ، وبه اعلق ، ويبقى الجسد ابداً شركاً يحدها عن تسنم الاوج ، ونقصاً يهي بها عن رود المرابع الفسيحة .

ولعلك تحب ان تعرف ما تلاقيه النفس اذا تحررت من قيود البدن ، فتابع اذاً مطالعة القصيدة ، واقرأ ما يلي من الابيات (١١ — ١٤) ان النفس ، ساعة تطرح التراب ، وترحل عن هذا العالم ، تغور في فضاء رحب ، وتطل على عالم آخر ، ترى فيه ما لا تراه عيوننا الهاجعة ، عيون الحس القاصرة ، التي يستهدفها التعب ، ويستهدفها النعاس ، ويحد الشكل واللون علمها ومداها . وهي اذا بلغت اوجاً ، وحصلت علماً ، استخفها الطرب ، ولذ لها الغناء ، فسجعت مغردة هانئة ، كأجمل ما غنى الغريب اذا داس تربة الوطن .

*

والآن قل لي ، أترى فرقاً بين هذه الآراء وآراء افلاطون ؟ أليس البدن سجناً ، والمادة شقاء ؟ أليس التحرر منه سعادة وكمالاً ؟ ثم ما هذه العهود التي نسيتها النفس ثم ذكرتها ، وما هذا الحمى الذي تربطها به مثل هذي العهود ؟ ألسنا أمام التذكار الافلاطوني ؟ أولا يكون الحمى عالم المثل ؟ ثم هل من غرابة في ان يكون اعتنق ابن سينا نظرية افلاطون ، واجلال العرب لافلاطون ما نعلم ؟

*

كل هذا مقنع معقول : ولكن اقرأ معي هذا النص من كتاب النجاة قال ابن سينا : « ان النفس الانسانية متفقة في النوع والمعنى ، فان وُجدت قبل البدن ، فاما ان تكون متكثرة الذوات او تكون ذاتاً واحدة . ومحال ان تكون ذوات متكثرة ، وان تكون ذاتاً واحدة ، على ما يتبين . فمحال ان تكون وُجدت قبل البدن » .

ان هذا النص لنفي صريح لازلية النفس ، ولتقدمها على البدن ، وبالتالي لنظرية افلاطون . وان افتراضي التناقض لآخر ما نعمد اليه في مثل هذه البحوث . وان القول بان القصيدة تمثل طوراً من تفكير ابن سينا ، وكتاب النجاة يمثل طوراً آخر ، لقول لانطمئن اليه في شيء ، ذاك لان كتاب النجاة من عهد النضج ، ولانا نحس في القصيدة نضجاً ايضاً ، سيما في ما يسمها من روحانية ، وحيرة ، ومتانة سبك .

ثم ان ابن سينا يعلم بان النفس فاضت عن العقل الفعال ، اخر العقول السماوية ، عند استعداد الهيولى بقبولها ، كما يعلم بان المادة سبب الشر على الارض ، وان السعادة في مشاهدة الله ومعرفته . فلمَ لا يكون ، اذاً ، المحل الارفع العقل الفعال نفسه ، ولمَ لا يكون حمى النفس العالم الروحي ؟ ولمَ لا تكون العهود التي تربط النفس بالعالم الروحي صلات شبه في الروحانية ، ونسيانها العهود ذهولاً عن هذا الشبه ، وذكرها لها تفكيراً بالعالم الروحي وحنيناً اليه ، لا استعادة معلوم ، واكتساب معقول ، كما هو الامر عند افلاطون .

واذاً نحن امام نظرية لابن سينا معروفة ، لا امام فكرة افلاطونية منقوله .

*

ومع ذاك لا اخالك الا مأخوذاً بالشعور الاول ، مدفوعاً الى المشابهة بين الفيلسوفين لمسحة شعرية جمعتها ، ولما في القصيدة من ذكرى عهود ، ومن حنين ، ومن غربة ، هي ادل على وجود للنفس سابق مستقل . وعليه فلنتابع شرح القصيدة علنا نلقى فيها نوراً جديداً .

ان ما تبقى من القصيدة يدور حول سؤال واحد ، يطرحه ابن سينا ، ويحاول الجواب عليه ، ويتردد ويحتار :

فلأي شيء اهبطت من شامخ عال الى قعر الحضيض الاوضع

لماذا حلت النفس في هـذا الجسد ، ولاقت فيه ما لاقت من جهد ومن وعناء ؟ ألحكمة أهبطها الله اليه ؟ ولكنهـا حكمة مجهولة ، مغلقة حتى على الفطن اللبيب ! ومـا عساها تكون هذه الحكمة ؟ ان ارجح مـا يبدو للعقل ان كمال النفس في المعرفة ، وانها لم تحل في الجسد الا لتحيط بكل ما في عالم الحس والعقل من حقائق واسرار . ولكن الواقع نفي لذلك ، وتكذيب ، فما اقصر معارفنا ، واقل علومنا !

ولا تعتقدنّ بالتنـاسخ ، وتظنن ان النفس ستنتقل من جسد الى جسد تحصل علماً ، وتنال كمالاً ، وتدرك غاية ، وانما وجودها في هذا العالم ، حماها الثاني ، لومضة برق ولمحة عين :

وهي التي قطع الزمان طريقهـا حتى لقد غربت بغير المطلع
فكأنهـا برق تألق بالحمى ثم انطوى ، فكأنه لم يلمع !

واذاً نحن بعيدون عن نظرية افلاطون ، عما ينسبه للنفس من جناية، ويفرضه عليها من تناسخ فهل يبتر ابن سينا نظرية افلاطون فيثبت بعضها في اول القصيدة ، وينفي الباقي في آخرها ؟ واذاً لا بد من انكار الاثر الافلاطوني في القصيدة ، وشرحها بمـا يتفق وفلسفة ابن سينا على نحو ما حاولناه .

*

ومع ذاك لا تظن انّا قد بددنا كل ابهام .

ألا يعلَم ابن سينا ان غاية الحياة السعادة وان سعادة الآخرة رهن علمنا في الدنيا ، وان واجبنا الاكبر تحصيل هذا العلم ؟ فلمَ راح يتساءل في هذه القصيدة عن غاية الحياة ، ويحتقر ما نحصله من علم ؟ لمَ تردد بعد يقين ، واضطرب بعد اطمئنان ؟

وآخر القصيدة اذاً نقض لمذهب ابن سينا ، كما هو نقض لمذهب افلاطون ، واذا احلنا على ابن سينا ان يبتر النظرية الافلاطونية ، فهل نجيز له ان يناقض نفسه ؟

*

نقف بك عند هذا الحد ، وقد اريناك جل ما في القصيدة من حيرة ومن غموض ، ولم نكتمك ما تحتمل من تأويل ، وتحوي من تناقض . وانما نحن فاكثر اطمئناناً الى انكار الاثر الافلاطوني في اول القصيدة ، وانّا لنفهم ما في آخرها من حيرة ، هي حيرة العقل الناضج ، اذا ذهل هنيهة عن بيئته وماضيه ، واستسلم للتفكير في جوهر الروح ومعضلات الحياة .

يوحنا قمير

الاديب وكتاب الاديب

تطلب من المطالب التالية

*

بيروت	من	دار الصحافة والنشر
صيدا	«	السيد يوسف الجيز
النبطية	«	مكتبة الشباب لصاحبها السيد معين جابر
صور	«	السيد محمد سعيد البلاغي
مرجعيون	«	السيد جميل ماضي
طرابلس	«	مكتبة زبليط ومن عموم الباعة
زغرتا	«	السيد فؤاد الحاج
حلبا	«	السيد عبدالله محفوض
زحله	«	السيد جوزيف فرحات مطران
عاليه	«	السيد نجيب سليمان
بعلبك	«	السيد علي الاحمر
دمشق	«	السيد عباس الروماني وعموم الباعة والمكاتب
حماه	«	مكتبة السيد عبد الحميد طباع
حمص	«	السيد عبد السلام السباعي
		« السيد توفيق الشامي
اللاذقية	«	« السيد حنا نصره
		« عكاظ العلمية لصاحبها السيد احمد خالد مترجي
طرطوس	«	الاستاذ صالح علي
حلب	«	السيد جان رزق الله كردي
الباب	«	الشهباء للسيد محمد سعيد المكتبي
دير الزور	«	السيد صالح السيد
العراق	«	المكتبة العصرية لصاحبها السيد محمود حلمي ومن عموم المكاتب والباعة
فلسطين	«	شركة فرج الله للصحافة وعموم المكاتب والباعة
مصر	«	مكتبة النهضة المصرية وعموم المكاتب والباعة
البرازيل	«	الاستاذ توفيق ضعون سان باولو ص · ب ٧٣١

•

وهي تباع : في سوريا ولبنان بليرة ل. س. في العراق بـ ١٠٠ فاس ، في فلسطين بـ ١٠٠ مل ، وفي مصر والسودان بـ ١٠٠ مليم

شاعران ماتا على ريبة

بقلم كرم ملحم كرم

لموسم الحج في المطمئن الحجازي يد طهور على الادب العربي البكر . فان هذا الشعر المصطفى، المنتقل الينا من شعراء الغزل في مكة والمدينة ، يكاد يرتفع في النظيرة من ادب الضاد . فما جاد به علينا وضاح اليمن ، وعمر بن ابي ربيعة ، وابن قيس الرقيات ، وكثير عزة ، من نفحات الغرام اللباب ، الملتهبة به ارواحهم ، لقي نبعه في مواسم الحج . فما من حسناء تقبل حاجّة الا ويشبب بها هؤلاء المعجبون بالروعة يتبعونها ويذرعون في سبيلها الرمال وافناء بيت الله الحرام .

وشغفت جماعة من هـذه الحسان بان تردد اسماءهن افواه الركبان ، وان يقف على فاتن الرواء فيهن كل من اظلته دنيـا العرب ، فأغرين بهن الشعراء يدفعنهم الى وصفهن في اشعارهم والى التحبب اليهن . ومنهن من كن يعشقن هؤلاء الشعراء ويبغين عقد صلات الحب بهم استئناساً بالثناء والاطناب ، او اندفاعاً في عاطفة هوى صادق . وما كان الغزلون من الشعراء على دمامة ، ووضاح اليمن وعمر بن ابي ربيعة من البهاء على وفرة ورجاحة . ولا بد ان يلقى هذان السنيان نصيبهما من وجد النساء ، ولا سيما بنات الاشراف والطبقة المرموقة في العهد الاموي .

ولكن هذا الغزل كلف الشعراء المغرمين من الاضطهـاد والعناء مـا قضي فيه على نفر منهم بالهلاك . فنقم عليهم الخلفاء واضمروا لهم الويل ، بل نقم عليهم كل من شببوا بامرأته وابنته واخته . فتوعدوهم وشهروا عليهم السيف . وكاد ابو الاسود الدؤلي يطيح عمر بن ابي ربيعة وقد شبب عمر بامرأة ابي الاسود وتتبعها في الحج يبغيها . فاحرجها حتى شكته الى زوجها . فتنكر له ابو الاسود وكشف له عن انياب رهاف .

على ان ام البنين ، زوج الوليد بن عبد الملك ، لم تنهج في الشكوى نهج امرأة ابي الاسود . فقد سمعت بوضاح اليمن ينسب بروضة الكندية فاشتهت ان تلقى من غزل الشاعر ما يشفي نهمتها . وام البنين امرأة خليفة ، وجدها مروان بن الحكم خليفة . فشخصت الى مكة تريد الحج ، ومناهـا ان تلقى وضاحاً المالك من القسامة منتهاها ، والمتدفق بشعر يسيل لرقته كقطرات الطل . وفي مكة دفعت الى وضاح جواريها تريده على لقائها . فهفا اليها وضاح . فاسفرت . واذا في طلعتها من الجهارة ما نفر فؤاده فحنّ .

قالت : هلا اسمعتني من نسيبك ما تجاوب به طلالتي ؟ فمـا امسك عن ارضائها . ولقد هامت به هيامـاً ملك نفسها . وشدّت به الى دمشق فاطاع ونأى عن مكة . وحملته على امتداح زوجها الوليد، الخليفة الاموي ، ففعل . ووضح في امتداحه الزوج حبه الزوجة . فهو يمدح الخليفة بابيات طافحة غزلا ووجداً احق بها ان تقال في امرأة الخليفة ، ام البنين ، الناعمة بالحسن الفوّار .

وهذا الامتداح للوليد مال بوضاح اليمن الى ارتياد البلاط ، بل فسح له في الدخول على امرأة الخليفة . فكان يلمّ بمقصورتها ويقضي فيها الساعات الطوال في مغازلة وبث اشواق . واذا فوجئا بن يخشيان وارت ام البنين حبيبها الشاعر في صندوق حتى يستتب له الامان .

وأهدي الى الوليد عقـد من الجوهر . والوليد على شغف بام البنين فدفع اليها العقد يحمله الى مقصورتها عبد من عبدان البلاط . ودهمها العبد وهي جالسة الى وضاح اليمن تساقطه احاديث الجوى . وطمع العبد في احدى جواهر العقد للسكوت وكتمان الخبر . فانتهرته ام البنين وردته خائباً . فحنق وشكاها الى الخليفة يقول : رأيته في حجرتها يا امير المؤمنين ، ولقد وارته في صندوق في صدر الحجرة ساعة رأتني . وهو هو . وضاح اليمن !

والوليد على قلق في امر أم البنين . يشعر بحبها لوضاح ويعاند في تصديق الخبر . فصاح برجاله : اقتلوا عبد السوء !

فضربت عنقه . وحبا الوليد الى زوجه ، وكانت تمتشط ، يقول لها وقد عرف الصندوق وجلس عليه : بحياتي يا ام البنين ، هل تهبين لي هذا الصندوق اجمع فيه حوائجي ؟

قالت : ولكن فيه حوائجي يا امير المؤمنين !

فقال ملحاً : هبيه لي !

قالت : خذه ، بارك الله لك فيه !

ومخافة ان تصدق ظنون الخليفة بامرأته مانع في فتح الصندوق ، وامر بان تحفر بئر في صدر المقصورة ، وبان يلقى الصندوق فيهـا ويهال عليه التراب . واعيد البساط على البئر المطمورة والخليفة يجهل ما دفن . فان حبه حال دون اطلاعه على ما يضم الخشب من سر مكنون .

ولكن هل حوى الصندوق وضاحاً ؟ . . . ان مؤرخي الادب العربي ايختلفون في مقتل وضاح ، والكل منهم فيه مذهب . وكل ما يجمعون عليه ان وضاحاً توارى منذ ذلك اليوم ولم يظهر له اثر .

*

على ان السر الاعظم هو في اختفاء عمر بن ابي ربيعة . فلقد درى مؤرخو ادب الضاد كيف عاش عمر ، شاعر الجمال ، ووقفوا على نزوات قلبه ومغامراته . ولكن ليس بينهم من يدري كيف مات . وروايتهم في موته مقتضبة حسيرة . فمنهم من زعم ان امرأة شبب بها ظلماً دعت عليه بالموت وفيما يجتاز الصحراء في يوم ريح هوجاء ، ممتطياً جواده ، نزل بجانب شجرة من السَلَم طويلة الاشواك ، فوخزته منها شوكة خدشته ، فتورم وجرى في عروقه السم ، واهمل مداواة جرحه فمات .

ومنهم من يقول : نقم عليه عمر بن عبد العزيز — وكان والياً على الحجاز — فنفاه الى جزيرة دهلك في البحر الاحمر اقتصاصاً منه لتعريضه بالنساء المسلمات المقبلات الى الحج . وتولت التوبة ابن ابي ربيعه ، ورغب في التكفير ، فجاهد في سفينة غازية احترقت به فاحترق وطارت عنه الحياة .

*

هذا ما يروي المؤرخون . غير ان لنا في الامر رأياً يختلف عما يذهب اليه الحدس والتخمين . فلقد لقي عمر بن ابي ربيعة ما لقي وضاح اليمن من تنكيل . فالوليد قضى على وضاح وعمر بن عبد العزيز قضى على سميه عمر بن ابي ربيعة . فنفاه الى دهلك واطعمه الفناء .

وعمر بن عبد العزيز من المعتصمين بنواهي الدين . فلما ولي الحكم في الحجاز ابى ان يتسلم شؤون الولاية اذا لم يطلق يده فيها الوليد بن عبد الملك . فيصلح الامر ، ويضرب الفساد في عشه ، وينقذ موئل الاسلام من الزنادقة المارقين . والوليد الخليفة ابن عم عمر بن عبد العزيز ، وزوج اخته ، وشقيق امرأته . فلقد تزوج عمر فاطمة بنت عبد الملك اخت الوليد ، وهي ابنة عمه ، المقيمة من الحسن على جلوة . وبلغت بعمر بن ابي ربيعة القحة ان شبب بفاطمة . فلم يغتفرها له زوجها عمر بن عبد العزيز والي الحجاز فأمر بنفيه وبقتله . وقد تكون حكاية السفينة مخترعة ، او هي حيلة اعتمدها الوالي للنجاة من الشاعر الحديد اللسان ، المستطيل في الاعراض .

ان هذا ضحية ذاك . ومن يعلم تمسك عمر بن عبد العزيز بقيود الدين ، وغيرته على اعراض المسلمين ، وحفيظته على كل من يستبيح سنن الكرامة والشرف ، يجدنا على حق في اعلاننا مقتل عمر باشارة عمر . فالتغزل بكل من اقبلت من الحسان المسلمات الى مكة حاجة لقي في المسلمين التذمر والتململ . وامتنعت طائفة من المصونات الحواصن من الظهور في البيت الحرام لاداء الفريضة . وخشي عمر بن عبد العزيز ان يمسي هذا التشبيب سنة في الشعراء ، ورأى ما حل بوضاح اليمن في بلاط ابن عمه الوليد — وقد نسب وضاح بام البنين شقيقة عمر بن عبد العزيز نفسه وهام بها — فما عفّ عن ابن ابي ربيعة . فنفاه . وتحت ستار النفي قضى عليه بعيداً عن العيون . فاقصاه الى جزيرة دهلك وفيها اودى به . وشاع ما شاع من الروايات عن مقتله دون ان يقوم في المؤرخين من يثبت هذه الحقيقة الشهباء . ويمكن القول ان الشاعرين وضاحاً وعمر بن ابي ربيعة ذهبا في وقت معاً . وقد تكون ثمة خطة مدبرة في ليل لانقاذ سمعة الامويين من لوك الالسنة . فالبيت المالك في الاسلام يجب ان يكون بمنجاة من كل ظنة . هذا ما اراد عمر بن عبد العزيز . وربما كان صاحب الرأي والتدبير في الاثنين معاً . فأوجعه ان يشبب باخته وضاح ، وان ينسب بامرأته ابن ابي ربيعة ، فنال الاثنين من حرصه على الشرف ما بددهما في كل ريح دون ان يدري احد كيف تبددا .

وهو ان لم يكن ذا يد في مقتل وضاح ، فان له اليد الطولى في مقتل عمر بن ابي ربيعة المتجرىء على ما لا يجوز التجرؤ عليه . وما تنفثه سطور التاريخ من تخبي‌ء شاهد عدل على ما نعلن ونقول . فقد شبب ابن ابي ربيعة بفاطمة زوج ابن عبد العزيز تشبيباً فاضحاً . فلحق بها من مكة الى جوار دمشق لاينصرف عنها الا وقد وهبت له قميصها . بل هو نال القميص ورفض الانصراف . وقال فيها ابياتاً — ولم تكن قد تزوجت — تناقلها الحداة ونشروها في كل صقع .

والشاعران لم يتحككا بالمرأتين ، بل ان المرأتين تحككتا بالشاعرين وجرتاهما الى التغزل بهما . فكان ان دفعتاهما الى ميتة شنعاء . من الغبن ان يلقاها اميران من امراء الغزل في الشعر العربي . فان في منظومهما من الرقة والاجادة ما يضمه الى الذخر التليد الطريف !

كرم ملحم كرم

دعـــوة

شتاءٌ وبردُ
وبرق ورعد
الى اين ، دعد
تُرى تذهبين ؟..

*

على وجنتيك الدموع السخاحْ
ودمع السماء يروّي البطاح
وثوبك تعبث فيه الرياحْ
وتكشف ما تسترين !

*

ووجه السماءْ
بلون المساء
مساء شتاء
ألا ترجعين ؟

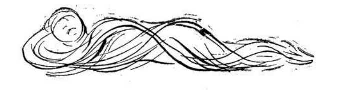
*

هنا الكوخ... سقف يردّ المطرْ
وجنح الظلام يقينا النظر
وارضٌ كأن عليها السررُ
ألا تجلسين ؟

*

تعالي... هنا مرقدي
الى جانب الموقدِ
لعل صباح الغدِ
صفاءٌ وصحوٌ ولين !..

الدكتور سليم حيدر



مدينة الجامعات

هو لقب استحقته عاصمة لبنان، دون سائر عواصم العالم، اذ لم يجتمع في واحدة منها جامعتان اثنتان كما هو الحال في هذه المدينة الرائعة .

ولعمري ان ذلك نعمة كبرى، نحمد الله عليها، ونحمد تينك الجامعتين . ولكن الامر لم يقف عند هذا الحـد . فالى جانب الجامعتين الكبيرتين، تقوم في بيروت عشرات المدارس، والكليات والمعاهد العلمية، من كل الدرجات حتى لتضيق شوارع العاصمة، على رحبها، بهذه المؤسسات وبتلامذتها وطلابها، كما تضيق بعض الشوارع باعلانات الاطباء والمحامين، من خريجي تلك الجامعات والكليات . ان العلم وحده نعمة تسبغها المدنية على الفرد وعلى الجماعة . وهو وحده لذة ومتاع يغنيان المرء عن كل لذة ومتاع سواه .

ولكن حاجة الامة، كمجموع يجب ان تتوازن فيه القوى المنتجة والقوى المستهلكة، لا تصبر طويلاً على هذه اللذة الفردية وهذا المتاع الشخصي .

في كل سنة تخرج المعاهد العلمية العشرات من الاطباء والمحامين والصيادلة والمهندسين، فضلاً عن المئات من حملة البكالوريا الذين يكتفون بهذا القدر من التحصيل العلمي . وهؤلاء واولئك واولالك جميعاً مدعوون بحكم اقامتهم في المدينة، طوال عهد الدراسة، ان يتابعوا الاقامة فيها، سواء اكانوا من سكان القرى والارياف ام من سكان المدن والقصبات . لا سيما ان العاصمة قطب رحى الحياة : ففيها دوائر الحكومة التي يرد اليها كل شيء ويصدر عنها كل شيء، في مركزية محكمة الحلقات .

وفي العاصمة العيادات الطبية الكبرى والمستشفيات . وفيها بالتالي الزبائن ووسائل التمريض . وفي العاصمة كبار المحامين ومكاتبهم، فلا بد لصغارهم من الاقامة فيها والبقاء قريباً من مصادر الالهام .

وفي العاصمة الصيدليات الكبرى، بل الصيدليات دون لقب، فلا سبيل لعيش الصيادلة الجدد في غير هذا الجو وذاك المحيط .

وتكتظ العاصمة بمن يفد عليها من كل حدب وصوب: طلاب المدارس وذووهم، والموكلون واشياعهم، والمرضى وممرضوهم و . .

وفي هذا العالم الذي يضخب بعشرات الالوف من السكان، ومثلهم من الوافدين، ومثليهم من المقيمين موقتاً، يرى غير هؤلاء واولئك واولالك من سكان المدن الصغيرة والقرى والقصبات ان الحياة لا تستقيم لانسان في غير بيروت، فيبتغيها عند هذا الخضم البشري . ويقبل المزارع والفلاح والصانع والعامل والفاعل بعيلته واتباعه على العاصمة، كل يبتغي الرزق عند تزاحم الاقدام، ويتحمل كل فوق طاقته، ليحمل الامة ما لا قبل لها به كمجموع، يجب ان تتزن قواه وتتعاون اعضاؤه، في حدود فرضتها الطبيعة واقرتها الشرائع، وعلى نظام بعينه اذا اختل تزعزع كيان الامة ووقف تطورها .

واني لأتصور رجلاً ينمو رأسه حتى يضيق عنه فضاء المكان، وتتضاءل يداه حتى ليعجز عن فتح الباب، وتضعف ساقاه حتى لا تستطيعا حمله، وارثي لحاله وحال الامة التي يصير افرادها الى مثل هذا المصير .

ونحن في لبنان اشبه ما نكون بهذا الرجل . تضخمت بالعلم رؤوسنا، وشل ذلك العلم غير الموجه ايدينا، واقعدنا كسل وراثي نتخبط فيه منذ عصور، وآخر اكتسابي يلازم الثقافة الكلامية ،

فبتنا كما كنا نعيش في هذا العالم على هامش الحياة لاننا تعلمنا ولم نعمل ، وامتلأت رؤوسنا ولم ننتج ، وتثقفنا ولم نستقم ، وتنورنا ولم ننتظم ، وسرنا اشواطاً في طريق الرقي ولم نتعاون .

ولعل في توزع المدارس والكليات على مناطق لبنان خطوة نحو تحقيق الهدف الذي ننشده اليوم ، في تربية الجماعة تربية موجهة شطر الخير العام . فتقوم في كل ناحية كلية من كليات بيروت ، تعمل في بيئة مؤاتية على اعداد الناشئة لما تفرضه الحياة ، وتريده الامة من ابنائها : فهنا توجيه شطر الزراعة والعمل في الارض وما تخرجه من خيرات . وهناك تمرين على الصناعات وما ينبثق منها ومن الزراعة من تجارة واعمال . وهنالك اعداد للمهن الحرة ، ضمن حدود طاقة البلاد على الاستيعاب .

ثم يعقب ذلك حملة منظمة من جميع الهيئات الرسمية وغير الرسمية في سبيل توزيع السكان توزيعاً عادلاً على جميع المناطق اللبنانية ، لا رغبة في الانتقاص من مزايا العاصمة وافضليتها ، ولا دعوة الى هجرها واقفارها من السكان . بل سعياً وراء تنظيم جهود الافراد وتعاونهم ، لمصلحة الجماعة ومصلحتهم .

وعندئذ تتخذ النقابات والجمعيات وسائر المنظمات ، التي تستقر في بيروت دون سواها ، قرارات تنفذها ترمي الى هذا الهدف . فيكون ابن سائر المناطق واثقاً من ان اقامته بعيداً عن العاصمة لا تحول بينه وبين ما يطمح اليه ، او يعمل الوصول الى تحقيقه .

وعندئذ يستقر المزارع في ارضه ، او على مقربة منها ، ويعمل الفلاح اذ يرى صاحب الملك يشاطره حياته ويراقبه ، ويجد المحامي زبائن في القرية او الجوار ، كما يلقى الطبيب من يعنى بصحتهم في القصبة والقرى المجاورة . وينقلب صمت الارياف الحالي ، طيلة تسعة اشهر ، الى مثل صخب المدينة ، ونشاط الناس فيها الى مثل نشاطهم في المدينة .

وعندئذ تسعى الى الناس في قراهم وسائل الحياة المادية ، واسباب نعيمها وترفها ، بدلاً من ان يتجشموا هم المشاق في السعي اليها في المدن . وعندئذ تعمر الارياف بجهود سكانها واموالهم ، لا بما تنعموا به من اموال المهاجرين وجني جهودهم . فيحرصون على ذلك كله حرص المرء على ما كسبت يداه ، بعرق الجبين ، وسهر العيون ، وذوب القلوب .

يعمل الاوروبي طيلة حياته جاهداً ناصباً ليستريح في ختام الحياة في قريته — اذا كان من ابناء الارياف — او في قرية يختارها اذا كان من ابناء المدن .

ويتقاعد العاملون منا ، القرويون والمتمدينون ، في العاصمة او احدى المدن الكبرى !!!

وينتهز الاوروبي من سكان المدن فرصته في ختام الاسبوع ، ليقضي يوم راحته وليلته خارج المدينة ، في نزهة مريحة . بينما يستقر المتمدينون منا في المدينة ، حتى ايام الراحة ، ويقبل عليها سكان الارياف ، بالآلاف ليتنزهوا في شوارعها وملاهيها !!!

كل هذا سيء النتائج حتى على الصحة العامة فضلاً عن اقتصاديات البلاد . وكل هذا امراض تجب معالجتها بالطرق الناجعة قبل فوات الاوان .

والمدرسة معقد آمالنا في كل حركة اصلاحية ليجيء التطور الايجابي طبيعياً لا طفرة ، كما كان شأن تطورنا السلبي في ربع القرن المنصرم .

والمدرسة القروية اولى معاهدنا بالعمل على توجيه الناشئين . ويأتي عمل المدارس الثانوية والكليات متمماً لتلك التربية التوجيهية ، فلا يفلت الناشيء من احضان الامة ويعسكر عمالها الى فضاء يكتظ بكسالى العلم و(تنابل الشهادة) ، ويظل عضواً سلبياً مفيداً في جسم المجموعة الانسانية .

ولعلنا نعيش لنشاهد هذه الاماني في حيز الواقع ، فنطمئن الى مصير اولادنا وذرارينا ، ومصائر الوطن .

رشاد المغربي دارغوث

قصة رمزية مصرية

حكاية قطة

بقلم عبد المعطي المسيري

مهداة الى الدكتور طه حسين بك

وللقطط كما للآدميين حكايات ، منهـا المأساة التي تدمي القلب ، وتقرح العين ، ومنها الكوميديا التي تشرح الصدر وتشيع في النفس المرح والغبطة .

ولم لا تكون للقطط حكايات وهي تضطرب في الحياة كما نضطرب ، وتخضع لاحكام القدر كما نخضع ؟ ولم لا تكون حكاياتها متنوعة ؟ أليس فيها الضال والمدلل ، والهزيل والسمين ، والحاذق والبليد ؟؟

ثم ألسنا نصبح فنستقبل النهـار جادين او هازلين ، ونمسي فنقضي الليل راقدين او سامرين ؟ وهل للقطط سنة غير هذه حين تأخذ في السعي او حين يدركها النعاس ؟؟

اذن فليس من بد ان تكون للقطط حكايات ، وليس من بد ايضاً ان تتنوع هذه الحكايات ، وسنقرأ حكاياتهـا فنقرها حيناً ، وننكرها احياناً ، الا اننا سنجد فيها لذة القلب والفكر في كل الاحايين .

فاذا ألممنا بشيء من هذه الحكايات ، فسنرى ان القطط ادق منا فهماً لغاية الحياة ، واحسن منا تلقياً لها واستجابة لدواعيهـا .

سنرى انها تأخذ ما ينبغي ان يؤخذ ، وتترك ما ينبغي ان يترك ، وسنرى انها تفهم الطبيعة حق الفهم ، وتفهم انفسها ايضاً حق الفهم ، ومن ثم كان حظ الصفاء والانسجام بينها اوفر من حظ العناء والعناد .

لقـد عرفت القطط ان للطبيعة ناموساً ينبغي احترامه ، وان لها اسلوباً ينبغي محاكاته ، وان لهـا وظائف ينبغي ان تؤديهـا فلم ترهق انفسها ، ولم تثقل على الطبيعة بمحاولة تعطيل وظائفها او الاستغناء عنها

عرفت القطط ان الطبيعة تعنى بغريزتي البقـاء والدفاع ، فتركت لها اجسادها تكسوها من غزلها ، وتركت لها بطونهـا تغذيها من ثمرها .

ونظرت القطط فوجدت ان الارض لا تضيق بالمخلوقات فلمَ يضيق بها المخلوقات ؟

وتعمقت القطط في نظرتها فوجدت ان العناء والبلاء موكلان بالتكالب والتوسع ، فآثرت السلوك في الحياة مسلك « من يأكل ليعيش » فأراحت واستراحت ، وغدا مذهبها في الحياة الاستمتاع بأي شيء ، والاستمتاع بكل شيء في هذه الدنيا ، التي لا يتاح للمخلوق ان يعيش فيها مرتين .

وعلى هذا النحو كانت معرفة القطط للحيـاة عميقة شاملة ، وصلتها بالطبيعة وثيقة كاملة ، وقد جنبها ذلك القلق والهم ، ومحا من قاموسها كلمتي « الطعن والنزال » . ويسر لها استقبال ايامهـا راضية باسمة ، واستقبال لياليها لاهية هانئة ، حتى صرنا نحسدها على جدها الذي يشبه اللعب ، ولعبهـا الذي يشبه الجد .

قصة

ولو شئت لحدثتك طويـلاً عن القطط وتاريخها وما يتصل بها ، لو شئت لقصصت عليك ما يقوله المؤرخون عن عبادة الفراعنة وتقديسهم لهـا ، ولو شئت لرويت لك ما يقوله المؤرخون عما وقع لها مع النبي الكريم وعطفه عليها ولكني

اوثر القصد والايجــاز في هذا التقديم الذي كان لا بد منه ، لان صديقنا الاستاذ توفيق الحكيم يرى انه لا يسيغ المقدمات الا اذا كانت تعريفـــاً بمؤلف قديم ، او نقل عن لغة اجنبية . وليست « حكاية القطة » تعريفاً بمؤلف قديم فحسب ، وليست هي نقلاً عن لغة اجنبية فحسب ، ولكنها فن جنس آخر نحتقره وكان ينبغي ان نوقره ، ونستهزىء به وكان ينبغي ان نقدره .

وبعد — فاني اخلي بينك وبين « القطة » لتحكي لك حكايتها وانا زعيم انك ستجد فيها لذة لا تعدلها لذة ، ومتاعاً لا يعدله متاع .

*

نشأت في قصر شامخ منيف ، فيه الكثير من الاثاث الناعم الوثير ، وفيه الكثير من الغذاء الدسم اللذيذ جمع الى ضروب الوقار والجــد ، فنون التسلية واللهو ، ولولا انني منيت بنفس طلعة ، لكان لي من ارستقراطية المولد والبيئة ، ما يكفل لي رغد العيش ونعيم الحياة .

لم ينقض على مولدي بضعة اسابيع حتى كنت ارقب كل شيء ، واتأمل في كل شيء ، واتقصى عن كل شيء . فهذا الطفل الذي سبقني الى الحياة بعامين قد سبقته في المعرفة بجيلين ، فهو اما باك على لاشيء ، واما مبتسم للاشيء ، لا يرفع يداً ولا قدمـــاً الا بمقـــدار ، ولا يستطيع الحركة الا كما تستطيع الدمية . اما انا فقد قضيت اياماً بين فكي امي تقفز بي من حائط الى آخر ، وتنتقل بي من مكان الى مكان ، ثم لم تلبث ان القت بي في خضم الحياة دون ان تزودني بشيء ، وان كانت في الحقيقة قـــد زودتني بكل شيء .

وكنت اجلس من الطفل غير بعيـــد ، اوازن بين قيوده وحريتي ، وترهله ورشاقتي ، وترمته وانسجامي . فاذا طاب لأمه ان تداعبه ، حلا لها ان تضع يده على نقطة الضعف من نفسي، فهي تشير نحوي بيدها فاقوس ظهري وامو ، ثم تحاول الدنو مني فاتصنع الخوف والذعر ، ولو درت « السيدة » ان خوفي افضل من خوفها لاقلعت عن سخافتها ، ولرثيت لنفسها ولابناء جنسها فنحن معشر القطط لا نخاف الا من الواقع ، من اليد اذا ارتفعت ، او المصيبة ان وقعت او اوشكت ، بينما هم تقض مضاجعهم الاحلام ، وتنغص حياتهم الاوهام ، انهم يقدرون ويفزعون وكثيراً ما تجاوز المصائب مـــا يقدرون وتأتيهم من حيث لا يحتسبون ، كما يشير الى ذلك قائلهم :

« من مأمنه يؤتى الحذر »

واكبر الظن ان « السيدة » لا تدري ذلك لانها تمعن في سخفها فأتركها سادرة في عبثها ، واترك طفلها سجيناً في مهده واغدو بين ركض وقفز ، ومرح ولهو ، فـــاذا ادركني التعب ، دلفت الى مكتب السيد رب الدار التمس ثمة شيئاً من الراحة والتسلية فأجد « السيد » ما يزال مستغرقاً في تحضير خطبه الانتخابية التي ينادي فيها بالعدل والانصاف ، والحرية والمساواة ، والتي يصور فيها ما يلحق الفقراء من جوع ومرض وجهل ، وينعي فيها على الاغنياء ما هم فيه من ترف وبذخ ونعيم ، فهو يحزن للفقراء حزناً ما اراه ينجلي ، ويحنق على الاغنياء حنقاً ما اراه ينقضي وهو يئن ويتوعد

تعديلات جديدة هامة في اليانصيب الوطني

ادخلت تعديلات جديدة على نظام اليانصيب الوطني ، ابتداء من الاصدار الاول لسنة ١٩٤٥ . هذه اهمها : (١) خفض عدد الاوراق من مئة الف الى خمسين الف ورقة ، وزيد ثمن الورقة ، فاصبح عشر ليرات بدلاً من خمس ليرات ، بحيث يبقى مجموع الثمن ٥٠٠٠٠٠ ليرة لبنانية ، وهذا التعديل يضاعف حظ اللاعبين اذ اصبح السحب يدور حول خمسين الف رقم بدلا من مئة الف رقم . واصبحت الاسهم توزع على خمسين الف ورقة بعد ان كانت توزع على مئة الف ورقة ، وسمح ببيع الاوراق على نصفين . (٢) زيدت قيمة الاسهم الموزعة على الجمهور ، فاصبحت ٣٠٠٠٠٠ ليرة لبنانية ، بعد ان كانت ٢٨٣٠٠٠ ليرة لبنانية . وهكذا تصبح حصة الجمهور ٦٠ بالمئة من مجموع ثمن الاوراق . وتدفع ادارة اليانصيب من اصل الاربعين بالمئة الباقية ١٠ بالمئة بصفة جعالة للباعة و ١٠ بالمئة بصفة نفقات عامة . (٣) نزولاً عند رغبة الكثير من غواة اليانصيب ، فقد زيد عدد الاسهم الكبرى ، وهكذا فيما عدا السهم الاكبر الذي قدره ٥٠٠٠٠ ليرة لبنانية . فقد زيد عدد اسهم العشرة آلاف ليرة الى خمسة بدلاً من ثلاثة . واحدث عشرة اسهم بخمسة آلاف ليرة لبنانية ، وزيدت اسهم الالفي ليرة الى عشرة اسهم بدلاً من خمسة . واسهم الالف ليرة الى خمسة عشر سهماً بدلاً من عشرة . واحدث عشرون سهماً بـ ٥٠٠ ليرة لبنانية . (٤) خصص الباعة باسهم قدرها عشرة آلاف ليرة توزع بموجب سحب خاص يدور حول خمسة آلاف رقم ترقم على غلاف دفاتر اليانصيب . وهكذا يستفيد من يشتري دفتراً كاملاً من جعالة قدرها ٨ بالمئة ومن الغلاف المرقم الذي يسمح له بالاشتراك بالسحب الخاص . ٥ — لما كانت اكثرية اوراق اليانصيب تبقى لحساب الادارة فكان يصادف في اكثر الاحيان ان يقع السهم الاكبر بين الاوراق غير المبيعة ، وقد ابدى الجمهور استياءه اكثر من مرة لحرمانه من السهم الاكبر ، ولهذا قررت لجنة اليانصيب اعادة السحب كل مرة يصادف وقوع السهم الاكبر بين الاوراق غير المبيعة ، ويعاد السحب حتى يحصل عدد منسوب الى ورقه من الاوراق المبيعة . وفي هذه الحـال يمنح حامل الورقة نصف قيمة السهم الاكبر اي خمسة وعشرين الف ليرة لبنانية .

ويقدم . . . فاذا حدث وجيء اليه باحد عماله او فلاحيه فكأنما قد حككت جلده فظهر لك الرجل القديم !! فهو يقسو وقد كان ينهى عن القسوة ويظلم وقد كان ينهي عن الظلم، فيملكني العجب لقدرة الانسان على الظهور بوجهين لقد مست كتابته الحلوة شعوري مساً رقيقاً لطيفاً ، وهزت معاملته الخشنة نفسي هزاً قوياً عنيفاً ، ولكني لا املك اكثر من ان انظر اليه نظرة فيها لوم وتأنيب وفيها مقت وازدراء . واغادر المكتب ونفسي ضيقة بهذا الخداع منكرة لهذا النفاق ، والحق ان نفاق « السيد » لم يبق له في نفسي أي شيء ، ولذلك سرعان ما اولي وجهي شطر الحديقة حيث اجدها تتضوع عطراً ، وحيث اجد الكائنات تعبر عن اغتباطها بالحياة بكل ما تستطيع . فالعصافير تزقزق وتتغنى ، والاشجار الكريز والسوسن تزهو وتزدهر، والارض ترفل في ثوبها الاخضر المرصع بالزهور المختلفة الالوان بين حمراء وصفراء ، وبيضاء وزرقاء، وعندئذ يستخفني الطرب ، فامزج طوبتي بطوبة ما يحيط بي ، واقضي ساعة من زمان لا يعرف ولا يقدر لذتها من الآدميين الا الانبياء او . . . الشعراء .

فاذا بلغت من التمتع والتطويف بالحديقة ما اريد او اذا افسد علي مقامي بها انسان ذهبت الى « الاسطبل » فاشهد الحوذي وهو يدلل الجواد ويهيئه للمركبة ، وبين الاثنين من التجاوب والالفة ما لا حيلة لي في وصفه ولولا اني مولعة بدس انفي في كل شيء لما نغص علي متعتي بصحبة الحوذي وحصانه شيء ، كنت اراجع كشف المصروفات الذي يعده الحوذي فأرى انه لم يستقم للمسكين ان يتساوى بالحصان في النفقات فالحصان يكلف «السيد» اضعاف اضعاف ما يحصل عليه الحوذي فأقول لنفسي : « متى يئن لهذا الحوذي ان يطالب سيده بالمساواة بينه وبين الحصان قبل ان يعني هذا السيد بالمساواة بين الناس !! »

*

على هذا النحو وفي هذا القصر ، وبين هؤلاء القوم قضيت الطور الاول من حياتي ، فلما شببت عن الطوق ، واستشعرت القدرة على مصارعة الايام، ضقت بالقصر وما فيه ومن فيه وشرعت اهيىء نفسي للرحيل .

لقد شغفني ما سمعته عن الريف . عن سمائه الزرقاء الصافية ، وارضه الخضراء الزاهية ، وعن ناسه الذين يعيشون على الفطرة السمحة ، يلتمسون ابدع الصور في زينة السماء ، ويلتمسون الشجي الانغام فيما يصدر عن الطير والانهار ويلتمسون البهجي في ذلك الكتاب الاخضر المنشور الذي تتألف حروفه من النباتات والزهور . اذن فالى الريف . . .

وحلا لي وقد ازمعت البعد عن المدن وما يضطرب فيها ان اتزود بشيء من ضجيجها وعجيجها فركبت القطار وتمتعت فيه بما لابناء جنسنا من امتيازات ، فها انذا اروح واجيء تحت سمع الكمساري وبصره فلا يملك مطالبتي بشيء ، وها أنذا انتقل هنا وها هنا ، دون ان اثقل على شيء ، او يزعجني شيء ، ثم ها أنذا اضيق بالناس وبالمكان فاصعد الى سطح القطار انعم بالهواء الطلق، وهدوء الوحدة ، وما ينطوي عليه الكون من جلال وجمال .

ويقف القطار في احدى المحطات فينزل منه قوم ، ويصعد اليه آخرون، ويبدو لي ان اقف على ما يدور بين المسافرين من احاديث فأقبع تحت مقعد واسمع ، وليتني ما سمعت . أسمع آدمياً يعقب على كلام رفيقه فيقول : « الحمد لله ، إحنا احسن من غيرنا ، انا شفت هذا النهار منظراً جعلني ابوس يدي بالمقلوب : شفت قطة وطفلاً يتنازعان على ما في صندوق القمامة من فضلات ، فالقطة تراوغ الطفل وتختطف ، والطفل يحاول الانفراد بما في الصندوق فيذودها عنه ، واخيراً اقبل كلب شرس فطرد الاثنين واستقل بالغنيمة !! »

ويفرغ الآدمي من حكايته مظهراً الغبطة لان الحالة لم تصل به الى هذا الوضع ؟؟ ونسي المسكين ان هذا المصير سيدركه فلا يجد من ينقذه منه ما دام الآدميون قد ألحت عليهم الاثرة والانانية الى هذا الحد .

ثم اندفعت نحو مقعد آخر التمس عند اصحابه مـا يرفه عن نفسي ويجلو ما ران عليها من هم وحزن فسمعت ويا لهول ما سمعت : فهذا انسان يساوم آخر على قتل انسان ثالث لقاء مبلغ معين من المال !! مخلوق يقبل ان يزهق روح مخلوق مثله لعله لا يعرفه ، ولم يره من قبل مقابل دراهم معدودة من المال !!

صعدت ثانية الى السطح فرأيت كل شيء جميلاً في العين ، جميلاً في النفس ، حتى لقد كبر في ظني ان الانسان هو الكائن الوحيد الذي استبد به الجهل والغرور حتى اوشكت نغمته على الانفصال من هذا اللحن الرائع الخالد الذي تترنم به الطبيعة ثم وقف القطار ثانية ، ونظرت فوجدت الريف الذي انشده فانطلقت اعدو بين القنوات والحقول .

دمنهور — مصر

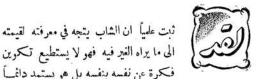
عبد المعطى المسيري

التحليل النفسي في الادب الحر

بقلم ابو مدين الشافعي

ماجستير في علم النفس من جامعة فؤاد الاول

✯



لقد ثبت علمياً ان الشاب يتجه في معرفته لقيمته الى ما يراه الغير فيه فهو لا يستطيع تكوين فكرة عن نفسه بنفسه بل هو يستمد دائماً فكرته عن نفسه من مجتمعه الذي يعيش فيه . فاذا وجد تقديراً قدر نفسه وان وجد احتقاراً او عدم مبـالاة احتقر نفسه وشعر بالنقص . وصادف ان كثيراً من الاشخاص الذين وهبوا احساساً مرهفاً وشعوراً دقيقاً يكونون عن انفسهم فكرة غامضة شاعرين بحيرة اذ هم يشعرون بقيمة شخصية ممتازة ويحاولون ان يتأكدوا من ذلك الشعور بما يقوله الناس عنهم – وتأخذ هذه الظاهرة شكل مأساة اذا كان الفرق شاسعاً بين الشخص ووسطه وهذا ما يواجه دائماً المجددين عامة والمجددين في الادب خاصة . واما ان تنتهي المأساة بخضوع الاديب النـاشيء الى رأي الغير فيه فيغير فكرته عن نفسه وتموت مواهبه واما ان يقاوم في وسطه بشجاعة ليطمئن الى رأيه عن نفسه واما انه يفر بمواهبه باحثاً عن الوسط الملائم له كما تبحث السمكة بكل قواها عن المـاء الصافي الذي تتوفر فيه شروط حياتها وهذا ما فعله الادباء الاحرار في القرن التاسع عشر الذين اطلق على حركتهم اسم الرومنتزم .

امتاز الادب الرمنتيقي بالثورة والحرية واصطبغ ادبهم بصبغة عامة عمت كل ادبهم على اختلاف الاوطان وكانت عبارة عن شعور بألم مر وعزوا ذلك الى القرن التاسع عشر وسموها مرض القرن « Le mal du siécle » ولعل جان جاك روسو كان اول اديب صرح به وعبر عنه احسن تعبير ولم يلبث غيره من الادباء ان عرفوا فيه ألمهم الدفين : الشعور بالغربة مع الوجود في الوطن ، تذمر من الوسط الذي كانوا يعيشون فيه ، الميول الى السفر والانتقـال الى الشرق بلد النور ، الشك في قيمة الفكر والرغبة في العقيـدة ، السخط على القواعد الادبية التي يقوم عليهـا الادب الكلاسيكي اندفـاع نحو الحرية في الكتابة ، تغيير الموضوعات ، الرجوع الى الطبيعة والبساطة ، ابعاد الادب عن الصناعة والتكلف ، الرجوع الى الطبيعة في كل شيء ، محاولة جعل الادب حياً يعبر عما يرى الانسان في حياته اليومية وما يشعر به مع الصراحة والبساطة والحرية .

لقد كان الكلاسيك يتقيدون بقيود لان ادبهم كان يكتب لطبقة معينة ولسلطان معين وكان هذا يمد الاديب بالمال والجاه واستطاع بعض الادباء ان يخضعوا مواهبهم الى مطالب السلطان واغراضه ، فقدروا على توجيه ادبهم وتكييفه كما يستطاع توجيه ماء الترعة ويستطاع سدها في أي وقت وفي أي مكان – وكان هذا مقابلا كل المقابلة لتيـار الشعور القوي الذي يشعر به الاديب الحي الحر القوي الذي لا يمكن توجيهه ولا ايقـافه ولا اخضاعه فهو سيل متدفق يجب ان يتجه بكل حرية يسير حيثما شاء وكيفما شاء وان وقف شيء في طريقه فهو يمزقه ليحمله معه وهكذا تساءل Gœthe في اول Werther وكان الادب الحر وقتئذ ضعيفاً امام الادب الكلاسيكي الذي كان يحتاط وكان يقاوم الادب الجديد ولهذا نجد Gœthe يتساءل من اول الامر وكأنه كان يتوثب للهجوم :

« لِمَ يا اصدقائي نرى تيار العبقرية يفيض نادراً بامواج ضخمة ليتدفق مرعداً ومروعاً كل النفوس المندهشة؟ فذلك يا اصدقائي لان السادة ذوي الافكار المقعدة الرابضة على شاطيء النهر والذين لا يصعب على التيار تحطيم عششهم الصغيرة بما فيها من ألواح الزهور واحواض الخضر فانهم يعرفون كيف يقاومون الخطر الذي يهددهم ويقاومونه في الوقت المناسب بواسطة قنوات وبواسطة الامتصاص .

ولكن جاء الوقت الذي تحقق فيه ما كان Gœthe يحار في عدم وقوعه وكان Gœthe وحده تياراً حطم كل آثار الكلاسيك واستطـاع مع انصار في انجلترا وفي فرنسا على تحرير الادب .

وكنت اود ان اتحدث بتفصيل عن الادب الكلاسيكي الذي كان

السبب في ظهور الادب الحر الثائر على كل القيود – واذا كان الادب مرآة للحالة الاجتماعية فانا نفهم بسهولة ان الادب الكلاسيكي كان ادب البلاط وادب الارستقراطية وادب الصالونات فكان الادب ترفاً لا ينعم به الا اشخاص معينون احتكروا الادباء وادبهم فخضع هؤلاء اليهم وعملوا على ارضائهم – فكان الادب الكلاسيكي بطبيعة حال من يخاطب لا يطرق الا موضوعات خاصة ويتجنب كل ما لا يروق تلك الطبقة التي ينتج لها – وكان الموضوع في الغالب روايات وقصصاً تدور حول وقائع تاريخية وكانت هذه الوقائع مختارة بحيث تهم الملوك والامراء. واذا كان هذا من ناحية الموضوع فمن ناحية الشكل وجد نقاد درسوا النقد القديم عند اليونان والرومان وطالبوا الادباء في القرن السابع عشر في اوروبا بما كان يطالب به الاديب الروماني واليوناني ولخص Boileau هذه القواعد واهمها القواعد الثلاث للتمثيل : وحدة الزمان ووحدة المكان ووحدة العمل .

ولا يجوز لنا ان نتهم الارستقراطية المالية او السياسية وحدهما في تقييد الادب في القرن السابع عشر بل هنالك ايضاً قضايا الدين – فبعض رجاله كان يوجه الملوك والامراء ، ويوحون اليهم بمحاربة بعض الادباء وتقريب البعض الآخر وكانت دائماً لهم الكلمة الاخيرة وكان الادباء يحسبون لرجال الدين ودراستهم الف حساب فلم يكن يباح لاديب ان يتكلم عن كل ما يشعر به فلا بد من الوقوف عند حد لا يتجاوز حدود « الادب » وكانت الاشارة الخفيفة الى عاطفة الحب تعد جريمة وخروجاً عن حدود الادب وخطراً على اخلاق الشعب فكان بعض الادباء الكبار مثل راسين وكورناي يلجأون الى بعض القصص التاريخية مثل قصة السيد Cid وشيمان Chiméne ويختمون وراء مثل هذه الشخصيات التاريخية ليعبروا عن عواطفهم المكبوتة ولا يشك بعض النقاد في ان اغلب القطع الحية المؤثرة كانت تعبر عن حب شخص واقعي عرفه المؤلف .

وخلافاً لما ذهب اليه جل مؤرخي الادب الحر (الرومنتزم) ارى ان اول من بدأ الثورة الادبية التي وصلت الى اوجها في القرن التاسع عشر ابتدأت في فرنسا على يد موليير وتبعه في ذلك لافونتين ثم لابروير واستمرت في القرن الثامن عشر على يد فولتير وروسو ونقلها فولتير الى المانيا اذ وجدت في Gœthe خير ممثل لها وانتقلت من المانيا الى انجلترا ورجعت هذه الحركة نفسها من المانيا الى فرنسا على يد مدام دى ستايل في القرن التاسع عشر

واستمر على يد شاتوبريان ولامارتين وموسه وهوغو واندره شينيه وكان موليير اول من بدأ حملته في اولى رواياته الكبرى الخالدة Tartufe واشتدت المعركة بينه وبين رجال الدين الذين استطاعوا منع تمثيلها وهكذا اهتدي موليير الى ميدان جديد وهو ميدان الوصف النفسي ولم يكن موليير يقصد بالطبع غاية علمية وانما اتجه قاصداً غاية نقدية اخلاقية .

بهذا خدم الادب الكلاسيكي الادب الحر اذ وجهه الى النقد والثورة والى الوصف النفسي وان كانت النفس التي اتجه اليها موليير ومن تبعه في القرن السابع عشر كانت هي النفس الانسانية العامة . وما لها من الاوصاف المشتركة بين الناس فذلك ما فعله لافونتين الذي لجأ الى القصص التمثيلية مستعملاً اسماء حيوانية ومحللاً اوصافاً انسانية .

وتبعه في ذلك لابروير فاعطانا صوراً حية للنفس الانسانية فكان اول من اعطى للادب الواقعي صبغة نفسية عرف كيف يلاحظ وعرف كيف يعبر عما يلاحظ . وجاء بعد ذلك فولتير وروسو وكأنهما تقاسما المهمة فاختص فولتير بالثورة على القيود ومحاربة السلطات المختلفة التي كانت تسيطر على الادب وتقيده واتجه جان جاك روسو الى التعمق داخل النفس – وان كان روسو هو الآخر بذل مجهوداً جباراً في محاربة السلطات في مختلف مظاهرها فانه حاول معرفة اسباب التفاوت بين الناس وكتب في ذلك مقالا في « تفاوت الناس » Discours sur l'inégalité des hommes ونادى بفكرة المساواة وصرح بفكرة الشيوعية في العهد الاجتماعي واخطر من ذلك كله هو كتابه في التربية الذي اسماه « اميل » اذ نادى فيه بالتربية الحرة في مدرسة الحياة التي تخرج منها روسو نفسه . ولا ينكر احد ما لهذه الاعمال من آثار في قلب النظم الاجتماعية والسياسية في اوروبا كلها . وكان شعار روسو في حركته الهدامة هو الرجوع الى الطبيعة والشعور . والحرية لا تكون حرية بالمعنى الصحيح الا اذا حطمت القيود الخارجية وانقاد الانسان الى داخل نفسه .

ولا ننسى الكلمة الخالدة التي ابتدأ بها روسو العهد الاجتماعي « ولد الانسان حراً وهو دائماً في القيود » فهذه القيود كانت ثقيلة في عهد روسو وكانت الطبيعة اعدت روسو للثورة اذ لم تخول له الظروف اتباع قيود المجتمع في التربية والتكوين – فلم تكن له عائلة ولم يكن له وطن ولم يكن له دين – وكان كل رأس مال روسو هو كونه انساناً يحمل قلباً حساساً فهذه هي العلاقة الوحيدة

التي كانت تربطه بالناس كلهم .

ولكن اتصال الناس به كان دائماً يرمي الى تقييده . فهذه مـدام دى وارنس التي عطفت عليه واحبته طلبت دخوله في الكاثوليكية وخروجه من البروتستنتية التي لم يكن دخل فيهـا يوماً من الايام رغم انحداره من عائلة بروتستنتية . فذهب روسو يبحث عن قلب خال من هذه القيود واحب خادمة فندق وضيعة (تيريز) وكانت خشنة الطباع فاخلص لها الحب وكان يعشق فيها القلب الانساني الساذج الذي لم تفسده الحضارة .

ولكن سرعان ما شعر روسو انه في حاجة الى قلب يشاركه في الشعور بجمال الطبيعة وابتدأ يشعر اكثر من ذي قبل بحاجته الى قلب ثان يؤازره ويشاطره احساساته ولعل اكبر عذاب يعذب به الانسان هو ابعاده عمن يشاركه في احساساته سواء كان احساساً باللذة ام احساساً بالالم . فشعر روسو ان صاحبته تيريز التي صارت فيما بعد زوجه لم تكن قادرة على ادراك جمـال الربيع وتذوقه والذي كان يغمر قلبه . وكان قد اعتزل في احـد الوديان وتلك الاحساسات كانت دقيقة لطيفة ولكنهـا كانت قوية فشعر بالعزلة وتكون عنده شعور بالحرمـان والوحدة والغربة فلم يلبث ان فر الى الخيال وخلق لنفسه شخصية خيالية اسبغ عليهـا كل الصفات التي كانت تنقص تيريز وسماها جوليا وابتدأ يكاتبها وتكاتبه وكان ينوب عن جوليا في الكتابة ولكن مثل هـذه الحيلة لا يمكن ان تأتي بالمطلوب ولا يمكن ان تستمر ولا يلبث الشخص ان يدرك مغالطته لنفسه ويعود اليه شعوره بالحرمـان والالم الكبير . والخيال لا يمكن ان يقيد الاديب ان لم يكن له اساس من الواقع وان لم تكن ظروف الاديب تتطلب ذلك الخيـال الطبيعي ولذلك نرى روسو يترك مكاتبته وتفتر صورة في ذهنه على الرغم من حيويتها الاولى .

وشاءت الصدفة ان تخدم روسو اذ عرف سيدة تدعى مدام دى هودلو التي – وان لم تكن غاية في الجمال – كانت حساسة وفيها حيوية واستطاعت ان تفهم روسو وتشاركه في شعوره فمشت معه لحظـات في ضوء القمر وعبرت له عن احساسات كان في حاجة الى سماعها من غيره حتى يتأكد من ان احساسه بالجمـال احساس بامر واقع . واكتفى بذلك روسو اذ اقتنع ان ما كان يشعر به لم يكن وهماً من الاوهام وانما هو شيء واقع قد يشترك فيه اثنان – وهكذا نرى الحرمان يخدم الادب فيوجه روسو الى الشعور . ورجع الى كتاباته وصارت (جوليا) الصورة الوهمية صورة حقيقية واقعية واذا بالقصة تؤلف بسرعة وسماها La nouvelle Heloïse هليوز الجديدة وحول القصة الغرامية الى قصة اخلاقية وحاول ان يشرح للنـاس لذة جديدة في الحياة هي لذة الاستعانة على الحياة باتصال روحي . لقد كان الناس في ذلك العصر يعيبون على شخص تعبيره عن كل حبه لزوجه لقد كان ذلك يعتبر ضعفاً بينما هو سبب من اسباب الحياة بل هي لذة اشرف من أي لذة اخرى فبجانب لذة الحواس ولذة العقل هنـاك لذة ثالثة هي لذة التعاطف سواء كان ذلك نحو الناس او نحو الاشياء . فهنـاك انواع من الشعور قد يتفق عليها اشخاص اذا توفرت لهم نفس الشروط فاذا وصف هذا الشعور بكل دقة بقطع النظر عن صلة هذا الشعور بالواقع الخارجي فان وصفي منطبق تمامـاً عما اشعر به فهو واقع داخلي وبهذا فان الادب الحر يقدم ثروة عظيمة لعلم النفس الذي هو في حاجة الى الوقوف على ما يجري داخل الفرد وليس من السهل

الدخول في النفس وملاحظة كل ما يجري فيها ومعرفة التعبير عنه بسهولة وبدقة وهذا الاتجاه النفسي للادب قدم لعلم النفس مـادة غنية بوقائع لا تقل واقعية عما يشاهده كل شخص في الخـارج المحسوس . فهناك « فرويد » واتباعه يرون ان لكل عمل انساني معنى مهما كان يبدو لنا خالياً من كل معنى وما هو علم النفس يتجه الى احلام النوم ويجد فيها تعبيراً لحاجات النفس وقد تظهر فيهـا نتائج عمليات تقوم بها النفس عن غير علم ومن غير شعور . ومـا هي الاحلام تعرف قيمتها وتعبر عن اشياء لا يستطيع الشخص التعبير عنها . فاذا كان هذا امر احلام النوم فمن باب اولى ان تكون لاحلام اليقظة قيمة كبرى وقبل ان نحـاول تحليل الاحلام يجب ان نعرفها وان نجد امثلة كثيرة منها . ولهذا اصبح علم النفس يجد ثروة ضخمة في الادب الحر الذي كنـا نصفه بالخيالي معتقدين ان الخيال حالة مقابلة للواقع . وان الادب الخيالي هو ادب لا يستند الى شيء من الواقع وانه راجع الى اوهام الكاتب وابداعه وانه اختلاق من عنده ومن هنا جاءت تسمية الادب الرمنتزم في العربية بالادب الابـداعي مع ان الادب الحر واقعي ويجب ان نميز بين نوعين من الخيال خيال اصطناعي تقليدي بحيث يتكلم الكاتب عن اشياء لم يعرفها ولم يجربها بنفسه ولكنه قرأها عند غيره وهذا الخيال لا يمكن ان يكون واقعياً لانه خيال مزيف واصطناعي والفرق بينه وبين الخيال الواقعي النفساني كالفرق بين كل شيء مصطنع مزيف وشيء حقيقي واقعي — وبهذا المنظار سنعود الى بعض النصوص الادبية لنحاول تجديد النظر فيها علنا نجد فيها حياة وواقعاً ما كنا اعتقدناه تكلفاً واصطناعاً .

ويشعر كل اديب حر مبتكر بتعب شديد اذا حـاول ان يعبر عن بعض حالاته الواقعية ويقابله الناس باحد امرين اما انهم يسمعونه وتصل كلمـاته الى آذانهم دون ان يتصوروا الصورة الدقيقة التي يحاول الاديب التعبير عنهـا وتبدو لهم هذه الحالات مألوفة وفي استطاعة كل شخص الشعور بها والتعبير عنهـا واذا جاءت بعض الحالات النادرة التي امتاز بهـا بعض الاشخاص لرقة شعورهم او الى بعض الخلل في صحتهم النفسية فان الناس يبتسمون ويكافئون الاديب بقولهم : خيال بارع او اختراع جميل ويصفونه بالمقدرة الكبرى على اكتشاف صور غريبة غير مـألوفة ونستطيع تصور حالة هذا الاديب عند سماع هذا المدح وتلقي هذا التقدير .

وهكذا نستطيع تقسيم الادب الحر الى قسمين : فبعض الادباء يعنى بوصف اشياء تبدو لنـا تافهة ولكنها في الحقيقة تهم الاديب لما تثير فيه من حالات شعورية معينة والكثير منهم يهتم بهذه الحالات الشعورية ويبرزها بطرق شتى ولقرب هذه الحالات الشعورية منا ولتكرار وقوعها فانها فقدت في اعيننا من اهميتهـا ونعتقد كلنـا انه في استطاعة كل شخص التعبير عنها ويذهب البعض الى ان الاشياء الطبيعية التي تثير هذه العواطف لا تستحق ان يذكرها اديب ولا ان يعتني بوصفها عاقل . وهؤلاء هم الذين ينظرون الى هذه الاشياء في حد ذاتهـا ولا ينظرون الى ما تحمله الى الاديب من حالات شعورية خاصة لها اهميتها وذلك لعجزه عن وصف هذه الحالات المجردة فهو يحاول وصفهـا عن طريق وصف الظروف التي احدثتها وهكذا قد يختلف النـاس في قيمة هذه الاسطر لجوته Gœthe في كتابه آلام فرتر :

« اخيراً جئت الى الساقية ووجدت عندها جارية صغيرة وضعت جرتهـا على آخر درجة منتظرة مجيء صاحبة لتساعدها على وضع جرتها فوق رأسها ، نزلت وقلت محدقاً اليها : هل يجب ان اساعدك فاحمر كل وجهها وقالت مترددة : لا سيدي .

— هيا بدون كلفة . وهيأت « حوايتها[1] » . ساعدتهـا شكرتني وصعدت الدرجات » .

من هم الذين يقدرون قيمة هذه الكلمات بالنسبة لجوتي . فهذه الاسطر تعطينا صورة بسيطة كل البساطة واننا — لا شك — نجد لها قيمة كبرى اذا وضعنا انفسنا موضع الكاتب نفسه شاب فر من مجتمع لم يقدره وسئم حياة الحضر والكتب وحاول الفرار بشعوره الى البساطة والحرية وهو في هذا المجتمع الجديد متطلع الى فرص التعرف على قلوب جديدة وبهذا تبدو لنا قيمة هذه الفرصة التي صادفته فيها فتاة وحدها في الطبيعة وهي في حاجة الى مساعدة وتمتاز هذه الفتاة باوصاف رائعة : شعور رقيق ظهر في رفضهـا المساعدة لاول مرة . وحياء ظهر في احمرار الوجه وهذا اجمل مـا تمتاز به البنت وهو عنوان على العفاف وحصن الشرف وهو طابع الانوثة الجميل — وكل ذلك يعبر عن الشعور الانساني الذي يعرفه كل منا ويرغب في سماع اديب حر يعبر عنه من غير تكلف ولا نفاق . ويشعر كل شخص بلذة كبرى عند الوقوف عليه لانه يقف على طبيعته الانسانية عارية فيجد نفسه محللة تحليلاً دقيقاً يساعده على معرفتها وعلى استغلال لذات الحياة . .

القاهرة — ابو صابر الشافعي

(١) كلمة عامية مصرية لترجمة coussinet

الحرية

عن الشاعر الانكليزي « شللي »

•

الجبال النارية يجيب بعضها بعضاً ،
وهزيم الرعد فيها يدوي من بقعة لاخرى ،
والمحيطات العاصفة الغضوبة يوقظ بعضها بعضاً ،
والصخور الثلجية تتزعزع حول عرش الشتاء.
عندما ينفخ بوق « تايفون »

•

الضياء يسطع من سحابة منفردة ،
بينما الوف الجزائر تنير من حولها ،
والزلازل الارضية ترد المدن العامرة رماداً ،
وتسري القشعريرة في جسوم المئات
عندما يتعالى الزعيق من اعماق الارض !

ولكن تألق الحرية اشد واعنف من تألق النور
وخطواتها اسرع بكثير من خطى الزلازل .
ان التفرس في الحرية يصم الآذان عن هياج المحيطات
ويخلق من زوابعها الصخابة وداعة حنون !
ويعمي عيون البراكين الثائرة المدمرة .

•

فمن الامواج الهائلة ، ومن الجبال والزلازل ينطلق شعاع
الشمس خلال الابخرة والاعاصير ! ومن روح الى روح ،
ومن امة الى امة . ومن مدينة شاسعة الى قرية حقيرة .
ينبثق شعاع الفجر واذ الطغاة المستبدون والعبيد
الاذلاء اشبه شيء باطياف الليل عند اول الصباح !

بغداد ترجمة : مرتضى شراره

ظلام

◆

علي محمد شلوه
الكوره

جو من الليل ، لم يهمس به قمر
تسعى اراجيفه رقطاء مجفلة
تهتز من نفسها رعباً ، فيصعقها
في شاطئيها احتضار الصمت شيّمه
في كل موطيء نعل فخّ جمجمة
وشعر جنية شمطاء بمثره
له عفونة ريح من ملامحه
يلتف عاصفه في كل منحدر
يخشى مزالقه البوم العتيق فلا
غطى على الكون فالغيب البعيد يدٌ
محا الزمان وما في موضع سمة
ومات في الابد الاقصى دعاء غد

ولم يبنْ كوكبٌ او يختلج سحرُ
فالارض واجفة والجو معتكر
هول ، من الريح والمحجوب ، منهدر
موج على شفتيه حية ذكر
وشدق غول احم الجوع منفعر
سبق الرياح ووجه غامه الخطر
نتن القبور ، وفك فيضه البخر
الليل فيه غريق ما له بصر
يأوي وفي مخلبيه يرجف الحذر
ثكلى وجنح من الاعياء منكسر
من الحياة فلا يرنو بها خبر
والصمت جفّ فلا عينٌ ولا اثر

تراثنا المهدد

✯

بقلم كمال اليازجي
احد اساتذة الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية

•

كتابان

اثنان قلما يبرحان مخيلتي : احدهما كتاب الفهرست لابن النديم ، والآخر معجم المطبوعات لسركيس . اما الاول فقد جمع فيه مؤلفه اسماء الكتب التي عرفها حتى اواخر القرن الرابع ، ونسقها حسب مواضيعها ، ثم اثبتها تحت اسماء مؤلفيها ، معرفاً المؤلف تعريفاً موجزاً وواصفاً الكتاب – حيث تيسر ذلك – وصفاً قصيراً . واما الثاني فقد اشتمل على اسماء الكتب العربية المطبوعة في الشرق والغرب حتى سنة ١٩١٩ مثبتة تحت اسماء مؤلفيها ايضاً . وقد جرى فيه مؤلفه مجرى ابن النديم في تعريف المؤلف ووصف الكتاب .

ولقد طالما اوحى لي هذان الكتابان خاطراً مشتركاً هو التساؤل عن الرصيد الباقي لحسابنا في ذمة الزمان بعد تصفية الموازنة بين مؤلفات القدماء ومنشورات المتأخرين – خاطراً ما اجتاح مخيلتي الا واثار في روعي احساسين حادين متعارضين : الاول زهو جامح ، والثاني خجل فادح . . .

حتى اذا كانت العطلة الميلادية ، خطر لي – وانا بين تعب من العمل الجدي ، وضجر من الراحة المملة – ان انتزع من الكتابين متعة اتسلى بها عن العمل المضني ، واطرد بها الضجر القاتل . فتناولت كتاب الفهرست ، وفتحته حيثما اتفق ، فاذا بين يدي مقالة المؤلفات اللغوية فعدت منها الى الفصل الاول ، واخذت في القراءة مسجلاً ما مر بي من اسماء المؤلفين مدوناً لكل منهم ما ذكر له من الكتب . ومع اني بدأت بهذا العمل على انه سلوى ومتعة ، الا انني لم البث ان وجدتني اخوض غمار بحث علمي جاف يقتضيني الكثير من التحقيق والضبط ، فضلاً عن معالجة الارقام جمعاً وطرحاً وضرباً وقسمة ، الامر الذي انقطع عهدي به منذ ايام التلمذة . . .

احصيت عدد المؤلفين في اللغة فاذا هو مئة وخمسون ، وجمعت ما خلفوه من مؤلفات فاذا هي الف وسبعون . ثم تناولت معجم المطبوعات ، وراجعت اسماء المؤلفين الذين ذكرهم ابن النديم ، فعثرت منها على سبعة وعشرين اسماً فقط ، واما المئة والعشرون فلم اعثر لها على ذكر . وعدت الى معالجة الارقام فتبين لي ان مجموع ما ألفه المؤلفون السبعة والعشرون اربعمئة وثمانية وثمانون كتاباً لم يذكر لهم منها في معجم سركيس الا اربعة وستون وهو كل ما طبع حتى سنة ١٩١٩ من اصل الالف والسبعين كتاباً على ذمة سركيس . والجدول التالي يوضح هذه الاحصاءات :

موضوع الاحصاء	الاثار المخطوطة	الاثار غير المطبوعة	النسبة المئوية	الاثار المطبوعة	النسبة المئوية
المؤلفون	١٥٠	١٢٣	٨٢ ٪	٢٧	١٨ ٪
المؤلفات	١٠٧٠	١٠٠٦	٩٤ ٪	٦٤	٦ ٪

وعليه فعدد المؤلفات التي لم يكتب لها بعد ان تمر بين عجلات الآلة الطابعة ١٠٠٦ ، اي ٩٤ ٪ من مجموع المؤلفات التي اثبتها ابن

النديم . هذا في مقالة اللغة وحدها ، وفي ما الفه اللغويون حتى اواخر القرن الرابع فقط . . .

وقد كنت شديد الرغبة في ان امضي في درس الكتابين على هذا النحو لولا ان طرأت علي مهام حالت دون هذه الامنية ، على انني لا استبعد ان تكون نتيجة الدرس للمقالات التسع الباقية في كتاب الفهرست قريبة مما اوصلني اليه درس مقالة اللغة .

اما العصور التي تلت القرن الرابع فقد كانت وافرة الانتاج . على اننا لو اعتبرنا المنشور منها وغير المنشور على نسبة ما نعرفه من آثار كبار المؤلفين نظير ابن سينا والمعري والغزالي لظهر لنا ان النسبة لا تختلف كثيراً عن نتيجة احصاء المؤلفات اللغوية حتى آخر القرن الرابع .

ومهما كان نصيب هذه الارقام والاستنتاجات من الضبط والدقة فلا شك ان الجانب الاعظم من تراثنا الثقافي لا يزال مجهولاً . على ان قسماً كبيراً من هذا التراث المجهول قد عفت آثاره ولم يعد احياؤه في نطاق الامكان . ونحن لا نزعم ان جميع ما سلم من كوارث الزمن من هذا التراث ، لا يزال بحالة سليمة يتيسر معها النشر ، ولا ان هذا الباقي جميعه خليق بجهد الناشر وماله ، لكننا على مثل اليقين بان جانباً لا يستهان به منه لا يزال بحالة تساعد على النشر ، وان فيه الكثير مما هو حري بالنا وجهودنا . وحسبنا دليلاً على ذلك ما تلقيه المخطوطات القيمة التي تنشر بين الفينة والفينة ، من نور ساطع على نواح هامة من تاريخنا الثقافي ، وما ترتديه الابحاث التي يعتمد فيها على المخطوطات من طابع الجدة والطرافة .

ان من يتصفح بيانات المكاتب الكبرى في الشرق والغرب يقع ، في باب المخطوطات على جداول طويلة لاسماء المخطوطات العربية ربما بلغ مجموعها عشرات الالوف على ان الذي يؤخذ من اوصافها ان الكثير منها مشرف على التلف ، لان الحشرات وعوامل الطبيعة تفتك بها فتكاً ذريعاً ، بل ان اقدمها – وهو بوجه العموم اجلها قيمة – ادنى الى خطر التلف من سائرها . فمن هو المسؤول عن هذا التراث ؟ وعلى من تقع تبعة احيائه وتحقيقه ؟؟

لا شك ان الهيئات العلمية في البلاد هي التي تتحمل الشطر الاكبر من المسؤولية المباشرة في البلدان العربية اليوم مؤسسات علمية عديدة من جامعات ومجامع علمية ، خليقة بان تهتم بهذا الامر وتضطلع باعبائه . اما الجامعات فقد سبق لبعضها ان دأبت في نشر عدد وافر من المخطوطات القيمة . واما المجامع العلمية فقد انصرفت بالاكثر الى معالجة قواعد اللغة ومفردات المعجم تقريراً ونقضاً ، دون ان يكون لذلك كله اثر يذكر في مناهج التدريس ومسالك الاقلام .

اننا في فجر عهدنا الجديد نتوقع حدوث تغييرات اساسية في اوضاعنا الاجتماعية والثقافية . يدل على ذلك – في الحقل الثقافي – عزم وزارة المعارف اللبنانية على انشاء مديرية للآثار التاريخية ، وعملها على تعديل برامج التعليم ، وعنايتها الجدية في انشاء مجمع علمي عربي . والمجمع العلمي احرى المؤسسات الثقافية بنشر التراث المخطوط . فنحن نتمنى على اصحاب الحل والعقد ان يوجهوه هذا التوجيه ويسهلوا له هذه المهمة مادياً ومعنوياً . ان مشروعاً كهذا لهو مشروع عظيم الاهمية جليل الفوائد ، لانه حري بان يبعث الجانب الرميم من تاريخنا القومي . فعسى ان ينتبه الى ذلك مجمعنا العلمي المنتظر ، ويدرس هذا الموضوع بالعناية التي يستحقها . وحبذا لو عين لجنة خاصة من الخبراء لدرس المخطوطات العربية واختيار القيم منها على ان ينشر تباعاً نشراً مستوفياً للشروط العلمية . فيخدم بذلك المجتمع العربي اجل خدمة ، وينقذ تراثنا المهدد من خطر التلف الاكيد ، ويسجل لنفسه ذكراً شريفاً ومأثرة حميدة .

كمال اليازجي



من فنون الحرب عند الاقدمين

بقلم نور الدين بيهم
امين المخطوطات بدار الكتب الوطنية

الدبابات

ليس اسم « دبابات » في المعنى الحربي والمستعمل اليوم بجديد بل استعمله الاقدمون في المعنى نفسه الذي نستعمله اليوم . وقد تفننوا في صنعها كثيراً وجعلوها انواعاً واشكالاً مختلفة الحجم متباينة الغرض والاستعمال وكان عندهم من الدبابات اشكال تقارب بوصفها الهندسي دبابات اليوم وهذا ما كانوا يسمونه « دبابات[١] ».
ومنها شكل آخر يسمونه الابراج النقالة وهي عبارة عن دبابات عظيمة تضم الجند والذخائر والاسلحة والمؤن والعتاد تنتقل في ساحات الوغى وتحارب حسبما تقتضيه الاغراض الحربية والمناورات الفنية . وغير ذلك من انواع الدبابات والابراج والمصفحات .

الف ومائتا عجلة حربية

في موقعة واحدة قبل ستمائة سنة

وفي سنة ٧٦٣ هـ جرت معركة هائلة قرب مدينة آش في الاندلس يقول المؤرخ الوزير لسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ انه بلغ من قوة الاستعداد وعظيم الاهتمام في هذه الموقعة لدرجة انه اشترك فيها الف ومائتا عجلة حرب للقتال ونقل الجيوش وحمل الذخيرة والمؤن والعتاد[٢] .

وفي سنة ٥٨٧ هـ = ١١٩١ — ١١٩٢ م هاجمت دبابة هائلة ذات اربع طبقات[٣] الاولى من الخشب والثانية من الرصاص والثالثة من الحديد والرابعة من النحاس وكانت تعلو عن السور وكان يركب فيها المقاتلة وخاف اهل البلد المهاجَم منها خوفاً عظيماً وحدثتهم نفوسهم بطلب الامان من العدو وكانوا قد قربوها من السور بحيث لم يبق بينها وبين السور الا مقدار خمسة اذرع على ما يشاهد برأي العين واخذ اهل البلد في تولية ضربها بالنفط حتى احرقوها[٤] .

وفي سنة ثمانية للهجرة في موقعة حصار الطائف لما قدم المنهزمون من ثقيف ومن انضم اليهم من غيرهم جمعوا كل ما يحتاجون اليه من ذخيرة ومؤنة وعتاد واغلقوا على انفسهم باب مدينتهم . فجاء خصمهم وحاصرهم نيفاً وعشرين يوماً وقاتلهم قتالاً شديداً حتى كان يوم الشدخة دخل نفر من المهاجمين تحت دبابة عملوها ثم زحفوا بها الى جدار الطائف فارسلت عليهم ثقيف سكك الحديد المحماة فخرجوا من تحتها فرموهم من الطائف بالنبال[٥] .

المصفحات

او الابراج النقالة

في سنة ٥٨٦ هـ = ١١٩٠ — ١١٩١ م . صُنع امام مدينة عكا ثلاثة ابراج عالية جداً وكان كل برج منها خمس طبقات كل طبقة مملوءة بالمقاتلين وغشوها بالجلود والخل والطين والادوية التي تمنع النار من احراقها[٦] واصلحوا الطرق لها وقدموها نحو مدينة عكا من ثلاث جهات وزحفوا بها فاشرفت على السور ودام القتال ثمانية ايام[٧] متتابعة وسئم الفريقان القتال وملوا منه للملازمة ليلاً ونهاراً وايقن الذين داخل السور ان عدوهم سيستولي على البلد لما رأوا من عجز من فيه عن دفع الابراج فانهم لم يتركوا حيلة الا وعملوها فلم يُفد ذلك ولم يُغن عنهم شيئاً وتابعوا رمي النفط[٨] الطيار عليها فلم يؤثر فيها فايقنوا بالبوار والهلاك واذ فجأة تغير وجه المعركة وسبب ذلك ان انساناً من اهل دمشق كان مولعاً بجمع آلات النفاطين وتحصيل عقاقير تقوي عمل النار[٩] فكان من يعرفه يلومه على ذلك وينكره عليه وكان يقول هذه حالة لا اباشرها بنفسي انما اشتهي معرفتها وكان ذلك الانسان صدفة في عكا فلما

---

(١) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٢٢١ والاخبار السنية للحريري مطبعة النيل ١٣٢٩ ص ١٦٥ والفتح القسي لعماد الدين الكاتب الاصفهاني ص ٦٥ طبع المطبعة الخيرية ١٣٢٢

(٢) اللمحة البدرية في الدولة النصرية للوزير لسان الدين بن الخطيب المتوفى ٧٧٦ هـ ص ١٠٢ المطبعة السلفية القاهرة ١٣٤٧ هـ

(٣) مجلد ٣ ص ٢٢١ Recueil des Historiens Orientaux

(٤) كتاب الروضتين في اخبار الدولتين ص ١٣ طبع باريس لشهاب الدين المقري المؤرخ النحوي المتوفي سنة ٦٦٥ هـ والمعروف بأبي شامة (لشامة كبيرة فوق حاجبه الايسر) راجع معجم المطبوعات ص ٣١٧

(٥) ابن الاثير ج ٢ ص ١٠٢ المطبعة الازهرية .

(٦) كامل التواريخ طبع باريس ص ١٨

(٧) ابن الوردي ج ٢ ص ١٠٢ المطبعة الوهبية ١٢٨٥

(٨) ابن الاثير ج ١٢ ص ٢٢ اول سطر المطبعة الازهرية ١٣٠١

(٩) كتاب العبر لابن خلدون ج ٥ ص ٣٢١

رأى الابراج قد نصبت على عكا شرع في عمل ما يعرفه من الادوية المقوية للنار بحيث لا يمنعها شيء من طين وخل وغيرهما فلما فرغ منها حضر عند الامير بعكا وهو الحاكم فيهـا وقال له تأمر المنجنيقي بان يرمي في المنجنيق المحاذي ابرج من هذه الابراج ما اعطيه حتى احرقه وكان عند الامير من الغيظ والخوف على البلد ومن فيه ما يكاد يقتله فازداد غيظاً بقوله وحرد عليه فقال لم يفلحوا فقال له من حضر لعل قد جعل الفرج على يد هذا ولا يضرنا ان نوافقه على قوله فاجابه الامير الى ذلك وامر المنجنيقي بامتثال امره فرمى عدة قدور مملوءة نفطاً وادوية ليس فيهـا نار فكان حراس الابراج وفرسانها اذا رأوا القدر لا تحرق شيئاً يصيحون ويرقصون ويلعبون على سطح البرج حتى اذا علم ان الذي القـاه قد تمكن من اصابة الرمي القى قدراً مملوءة وجعل فيها النار فاشتعل البرج والقى قدراً ثانية وثالثة فاضطرمت النار في نواحي البرج واعجلت في طبقاته الخمس عن الهرب فاحترق هو واكثر من فيه وكان فيه من السلاح والذخيرة والعتاد شيء كثير .

فلما احترق البرج الاول انتقل الى الثاني وقد هرب من فيه لخوفهم فاحرقه وكذلك الثالث وكان يوماً مشهوداً لم ير الناس مثله (١٠).

وجاء في تاريخ « مونزند » عن موقعة حصار عسقلان الشهيرة ان العساكر البرية نصبت آلات حرب قوية امـام اسوار المدينة وابراجاً نقالة عديدة منها برج مركب على عجلات بعلو شاهق جداً سهل النقل بقرب السور ذو حجم كبير كأنه قلعة عظيمة جداً .

وبواسطة هذا البرج النقال الهائل كانوا يرشقون اهل المدينة بمواد ثقيلة هدامة مضرة مخربة تفتك باهل البلد فتكاً ذريعاً (١١).

القنابل المحرقة او النفط الطيار

وقد اشتهر امر القنابل المحرقة واكثر استعمالها الاقدمون وكان ممن يحب استعمالها كثيراً في حروبه الخليفة العباسي هرون الرشيد اذ كثيراً ما كان يعتمد عليها في حروبه كما رواه عنه المؤرخون .

وكانوا يرمون العدو بهذه القنابل فتحدث في البلدان المهاجمة او بين صفوف المقاتلين من العدو حرائق فتاكة صعبة الاطفاء (١٢).

(١٠) ابو الفداء ج ٣ ص ٧٨ المطبعة الحسينية المصرية

(١١) مونزند ج ٢ ص ٦٧ طبع بيت المقدس ١٨٦٥ وترى ذكر الابراج في تاريخ العلامة اسحق ارملة صفحة ١١٦ وغيرهـا . المطبعة السريانية بيروت ١٩٢٩

(١٢) مروج الذهب للمسعودي ج ١ ص ١٦٠ وراجع اللمحة البدرية في الدولة النصرية ص ٧٢ طبع المطبعة السلفية ١٣٤٧

وفي سنة ٧٢٤ هـ نازل اسمعيل بن فرج قيس الانصاري، اشكر الشجي المتعرض في حلق مدينة بسطة الاندلس اخذ لمخنقها ونشر الحرب عليها ورمى بالآلة العظمى المتخذة بالنفط كرة محماة طاقة البرج المنيع من معقله فعاثت عيـاث (كذا وردت في النسخة المراكشية وفي نسخة الاسكوريال عثاث) الصواعق السماوية فنزل اهلها قسراً على حكمه .

وقد وصف الشاعر ابو زكريا ابن هذيل آلة النفط بشعر (١٣).

وممن كان يستعمل النفط الطيار الخليفة المتوكل على الله جعفر ابن المعتصم . ففي سنة ٢٣٧ هـ ارسل المتوكل جيشاً كبيراً تحت قيادة بغا الكبير لضرب مدينة تفليس لحاصرها بغا ودعا النفاطين فضربوا المدينة بالنـار فاحرقوها وهي من خشب الصنوبر فاحترق فيها خلق كثير (١٤).

وممـا اخذوه من الحيطة لمنع تأثير القنابل المحرقة ما ورد في تواريخ علماء السريان المعاصرين لحروب شاهدوها او رووها عن اناس حضروها وذلك عند كلامهم عن موقعة كبيرة دونوها قالوا: وابتنت الجيوش برجين شاهقين عظيمين ووضعوا فيها العرادات والمناجيق واحاطوهمـا بالواح من خشب البلوط الرطب لئلا يؤثر فيها النفط الطيار واستاقوهما على مقربة من الاسوار (١٥).

رفع الاعلام على الابراج النقالة

قال القاضي بهاء الدين ابي المحاسن يوسف بن رافع وهو ممن حضر الحروب مع السلطان صلاح الدين قال :

اتى من اخبر صلاح الدين ان العدو بات حول قيسارية فامر بمد الطعام واطعم الناس فاتاه مخبر ثان ان القوم قد هجموا فركب وذلك سنة ٥٨٧ هـ = ١١٩١ — ١١٩٢ م قصف العساكر وامر بالقتال فكان النشاب يتساقط كالمطر وكان في وسط القوم برج على عجلة كالمنارة العظيمة وعلى البرج علم يخفق تحيط به الجنود (١٦) وركب الناس معه وسار وسرت في خدمته حتى اتى عسكر العدو

نور الدين ابراهيم

(١٣) راجع اللمحة البدرية في الدولة النصرية للسان الدين بن الخطيب المتوفي ٧٧٦ هـ

(١٤) تاريخ ابن العبري طبع بيروت ١٨٩٠ ص ٢٤٧

(١٥) الاثار السريانية ص ٧٨ طبع المطبعة السريانية ١٩٢٩

(١٦) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية طبع باريس ١٨٨٤ ص ٢٥٠ — ٢٥١

الفرد المدني والفرد الحضاري

بقلم عبد الله عبد الدائم

*

تتناوب الافراد كما تتناوب الجماعات ميول الحضارة والمدنية . وقد رافق هذان الميلان البشرية منذ اقدم عهودها فشاهدت صراعاً دائماً بين حضارة تريد ان تؤكد ذاتها وروحها بما تملكه من خصب وقدرة على الانتاج وبين مدنية تريد ان تبلور هذه الذات وتجفف تلك الروح كيما تعيش على اشلائها .

وتاريخ البشرية كله مأساة لهذا الصراع ومأساة مليئة بالتعارض الباطني : تنتصر فيه الحضارة تارة فيشرق وجه الابداع وتتبين معالم الجدة وتلقى الروح فضاءها المنشود ، ولكن الطبيعة تأبى الا ان تجعل من هذه البغية هدفاً صعب المنال لا يوصل اليه الا بالرياضة الدائمة والجهاد وعدم الاستسلام لثمراته لحظة من اللحظات . وتتغلب فيه المدنية طوراً آخر فتنكسف الوثبات وتتوارى رؤى الروح المبدعة فيقتات الناس بمخلفاتها الصورية ويقتاتون الزمن في مغانيها المعطلة ، ولكن الطبيعة لا ترضى ايضاً الا ان تمد هذا الانحلال بتجديد له وان تزيد في تخديره فتمنح البشرية في هذا الطور كثيراً من الثمرات المادية حتى توهمها ان هدف الحياة قد حقق وان غاية الوجود قد تدانت ، كيما تعيش في احلام افيونية ورؤى مرآوية .

والنفس البشرية معدة بطبعها للوقوع في مثل هذه المزالق : فهي منذ الساعة التي قُذفت فيها وسط المادة عرفت ان غايتها اخضاع هذه المادة واستثمارها وما كان هذا ليتاح لها الا بكثير من العلو والتسامي فوق هذه المادة وفوق معطياتها الحسية المباشرة : وبهذا كانت تفسح المجال للجهد المبدع وللمعاناة والتجارب الى ان يتسنى لها ان تسجل لنفسها نصراً على المادة وعندها لا تلبث ان تنغمس في ثمرة نصرها وان تستمتع متعة ساجية حتى اللحظة التي تحس فيها بخطر للمادة جديد .

وبكلمة موجزة ان النفس البشرية مهددة دائماً بان تُنزع ، بفعل الحاجة المباشرة ، من وظيفتها الكونية كيما تقاد الى وظيفتها المعاشية ، وبان تحطم فيها ميولها الحرة نحو اكتناه المجهول ونشدان الحلول لاحاجي الكون كيما تقصر على افق ضيق من الواقع المعروف الذي لا يثير فيها قلقاً ولا يوقظ رغبة او مطلقاً ، بل يوسوس اليها بان كل شيء قد انتهى وبان المشكلة الكونية مشكلة زائفة الوضع وان لا وجود الا للموجود ، فتقتنع منه بتحصيل الحاصل هذا لما ترى فيه من تطابق مع المنطق : وهل من منطق اصوب واحكم عندها من المنطق الذي يناديك بان ما هو هو وبان «أ» هي «أ» ؟ ومن كوارث هذا المزالق ان الطبيعة المباشرة تلجأ فيه الى تبرير موقفها بالمنطق والمعقول والواقع متلاعب بالمنطق حتى تقصره على موافقة الشيء لذاته ، وتسيء فهم المعقول حتى تحيله الى المتعارف القديم وتبعد عنه كل مجهول حديث ، ثم تشوه اخيراً معنى الواقع حتى يغدو عندها واقعة وكارثة وحتى ترى في مرآه المباشر ومعطياته القريبة جبرية وقدرية لا مجال الى الارتفاع فوقها او الى اغناء مداها .

وللافراد حضارة ومدنية كما للجماعات فهناك افراد يعتبرون وجودهم الاجتماعي وجوداً للعرض والتمثيل فيتبنون كل شكول المجتمع وكل صوره ويحاولون ان يثبتوا في ذاكرتهم كل مخلفاته لا ليبدعوا بها ولكن لينشروا منها بضاعتهم عند الطلب . كل قيمة يلبسونها فلتقويمهم وكل فكر يقبسونه فللتفكير بهم . انه ليزعجهم كثيراً الا يكونوا قد احتووا في مستودع ذكرياتهم اسماً لفيلسوف او اديب ولاسيما اذا كان هذا الاسم سعيد الحظ بغرابته

واغرابه ، ويزعجهم هـذا النقص لا لانهم يتشوفون للاضطلاع المكون لشخصيتهم بل لانه يحرمهم شيئاً – وشيئاً بالمعنى الموضوعي المادي للكلمة – ولانه ينزع من ايديهم ورقة نقدية يشترون بها اعجاب الناس وتقديرهم .

يقول القائلون ان الانسانية تخلصت منذ اوائل عهد النهضة من التفكير القـديم المبني على السلطة كما تحل محله تفكيراً حراً حياً يقوم على الايمان بالذات قبل الايمان بارسطو ، ويكون طابعه الفهم الاتصالي الاشتمالي لمعاني الحياة والشرح الحي لمشاكلها قبل ان يكون شرحاً وتفسيراً وجوامع لمخلفات ارسطو وغير ارسطو . ولكننا مع الاسف لا نزال نلمح آثار هذا التفكير عندنا وان كنا لا نعترف به كمبدأ : فكلنا يقر ظاهرياً – بفعل التلقين والتقليد – ان الحقيقة ليست شيئاً قد اكتشف وما علينا الا ان نعثر على من اكتشفه ونقيمه شاهداً علينا ، وكلنا يساير ما يسمعه من اصداء تصل اليه من الغرب يسرق خلالها كلمات التفكير الشخصي والحرية والابداع وغير اولئك مما يقذفه بريد الغرب . ولكن جلنا مع ذلك ينساق انسياقاً لا واعياً ، توجيه اليه ضآلة تمثله المفاهيم الحديثة ، الى استثار السلطة الفكرية واشهـار سلاح الاستشهاد في كل معضلة ، ينساق الى الاخذ بالنتائج الجامدة المترسبة للفكر الاوروبي دون ان يحاول في ساعة من الساعات ان يقبس روح هذا الفكر وان يتصل بوثبة الابـداع التي خلقته . كثيرون اولئك الذين يريدون من بيننـا ان يعرفوا اشياء ومعلومات عددية للعرض والاحصاء عن الادباء والمفكرين الغربيين وغير الغربيين والذين يفنون ذاكرتهم في حفظ خـلاصات اثرية عنهم ، ولكنهم قليلون اولئك الذين يعرفون كيف يعيشون في الاجواء الكاملة لهؤلاء وكيف يستعيدون نفحاتهم فيخلقون منهـا نفحات جديدة وكيف ينتشون بنشوتهم فينسجون من غيومها ابداعاً دائماً .

ذلك ان افرادنا افراد مدنية لا حضارة وانهم يريدون ان ينقلوا الينا انحلال الحضارة قبل ان ينقلوا الحضارة نفسها ويودون ان ينتحروا ببطء المدنية بدلاً من ان يتمثلوا نسغهـا الجاري . ذلك ان افرادنا في باطنهم يتمتعون بنفس مدنية لا تعرف الحياة الا في مؤسسات ولا تفقه العيش الا في النتـائج القطعية والحلول المريحة والقوالب الضيقة التي لا تشعر النفس ابداً بدوار الممكن وزيغان اللانهائي ، بل تهيء لها على العكس راحة القنـاعة في الضروري والطمأنينة في المحدود .

اما افراد الحضارة فلا يأبهون كثيراً للمحتوى العددي لانفسهم وانما يأبهون قبل كل شيء لمدى الانضاج الذي تبعثه الثقافة فيهم ولمدى الرحابة الكونية التي يشقها الفكر في داخلهم . انهم رواد تكوين لا رواد تفخيم وانهم يكترثون للخيال المبدع الفني دون ان يكترثوا في شيء للخيال التجسيمي المتقاطر . هم يعرفون ان القراءة التي لا يشعرون تجاهها بارتفاع وتسام قراءة لا تغنيهم فلا تعنيهم ، وان الثقافة التي لا تثير في باطنهم الخير الكامن والحقيقة الكامنة والجمـال الراقد ثقافة لم تتجاوز بعد السطوح الاولى لشخصيتهم وانها عالة عليهم بدلاً من ان يكونوا عالة عليها .

والنتيجة المحتومة لمثل هذا الفهم الحضاري للثقافة ولمثل هذا الاستيعاب العضوي للعبقرية ولنتاجها هو ان يكفل لنـا افراداً يضمون في انفسهم كل وثبات العبـاقرة ويتسمون لكل ابداع وخلق فيستطيعون – بل لا يستطيعون الا – ان يفيضوا مما تزخر به شخصياتهم على مجتمعهم وعلى جميع مظاهر الحياة فيه سواء المادية والروحية .

والحق ان الفارق الاساسي بين الفرد الحضاري والفرد المدني هو ايمان الاول برسالته ومبدئه واخلاصه لها ولو كان في هذا جوراً على فرديته ، فهو يرى حقيقة ذاته من خلال مبـادئه ورسالاته ولا يرى المبادئ والرسالات من خلال ذاته . اما الثاني فلا يؤمن الا بذات له متواضعة تهزأ من المبادئ لانها لا تستسيغها وتستثمر الفكر لانه ليس عندها بذي قيمة وتموه على نفسها وعلى الناس اذ تقتات برفات العبقريات ورممها لانها لم ترد بعد ان تتحد بمعنى العبقرية وكنه الابداع ، وبهذا تعيش متطفلة تعيق نسغ الحضارة عن النمو والازدهار .

ولئن كان خطر هذا التطفل هداماً في كل امة فهو اكثر هدماً وادهى اثراً في امة كأمتنا لم تبدأ بعد حضارتها ولم تبن بعد كيانها اذ اخوف ما يخاف على مثل هذه الامة ان ينزع افرادها الى التمتع بالمدنية وبمدنية منقولة اليهم لا مخلوقة بايديهم قبل ان ينزعوا الى مجاهدة انفسهم ببناء حضارة متينة الاسس وقبل ان يرتاضوا على آلام الحمل والولادة .

قد يكون فلاسفة الجهد مخطئين اذا نظرنا الى اقوالهم نظرة مطلقة ، ولكنهم مصيبون بلا مراء اذا نظرنا الى اقوالهم من منظار امتنا المتخبطة الآن والتي تريد ان تتمخض فيخطئها المخاض . فالحقيقة البينة عندنا اننا نحتاج قبل كل شيء الى شعور بالرسالة وجهد

في سبيلها : وقد يكون الشعور موجوداً الى حد ما ، بيد ان الجهد يكاد يكون معدوماً : فالفرد عندنا لا يخشى الجهد مع المجتمع فحسب بل يفر منه مع نفسه ويريد ان يتخلص منه بمفاهيم يخطيء استعمالها تتراءى له خلالها اوهام الاستسلام والانطلاق وتغريه من ثناياهـا اشباح العبقرية الحالمة حتى يخيل اليه ان الابداع يكون بطيوف التأمل وان الاصلاح يبنى من نسيج الاسترسال والاستلقاء ويتناسى امام هذا ان الاسترسال المستمر معناه الغيبة والعدم وان التطور والتكون المتطور الحي لا يكون الا بتلك المحـاولات العنيفة التي تهز رواسب النفس وترفع طاقتها والا بذلك الجهد الذي يثير في النفس مرة جديدة وخصباً وغنى ، بل يتناسى ان لا شيء من لا شيء وان الدوران في حلقة مفرغة لم يكن منتجاً في يوم من الايام وان الالتفاف حول الذات افقار لهـا وحرمان من التفاعل والاخذ والعطاء اللذين هما اساس انتاجها .

والحق انه من الغريب كل الغريب مظهر الفرد عندنا الذي يطمئن لذاته ويرتاح لنفسه الرتيبة ويرضى لها القناعة فلا تقرأ على جبينه اي اسطورة اكتراث او قلق وهو يعيش في مجتمع يعتبر نفسه فيه مصلحاً ومنشئاً ويشعر بوهنه وامتلائه بالتناقض ! ولا اريد من القلق الشكوى السلبية التي طالمـا ازعجت اسماعنا وانما اقصد منه القلق المنتج الفعال الذي يدفع صاحبه الى العمل ويحمله الجهد والقسوة على نفسه في سبيل فهم المشاكل وتمثل المعاني الاجتماعية التي ينتظرها كيان امته او على الاقل في سبيل تكوين كيانه الشخصي وبناء عضويته الروحية بناء حياً .

وبايجاز اننا عندما ننادي بخلق الفرد الحضاري وترك الفرد المدني فانما ننادي الحقيقة ضد سرابها ونستعد في العمل المنتج والايمان الموحد ضد العمل العقيم والايمـان المبعثر ، ننادي بفرد يشعر بارتبـاط مصير الحق والواجب فيجهد للاتصال بمنابعها الاصيلة .

وان الذي يعنينا اليوم ان نتصل بجميع الوثبات المبدعة العالمية وان نخلق من نفوسنا نفوساً قوى des âmes-forces ليست غنية بمحتواها المادي بقدر ما هي غنية بحرارتها المبدعة وقدرتهـا على الخصب والاعطاء . علينا اولاً ان ننمي ذاتنا وان نشعر بوجودنا المبدع ضمن الكون وبعدها نستطيع ان نفيض بما شئنا وبما يتلائم ونوعيتنا الخاصة ولانكون في عملنا هذا آلات ناقلة ولا نتهم عندها بعدم الفهم لحاجاتنـا وطبيعتنا . نريد اليوم ان نخلق من افرادنا النفوس التي فاضت الحضارة الغربية وغير الغربية ولو لم نخلق منهم حمالاً لنتاجها . ومن الوهن كل الوهن ان نحاول تحميل شعبنا من النتائج مـا لا تستطيع معدته الفكرية ان تهضمه ومن الخطأ ان نلجأ الى الاجهاض وان نسقط مواليـد سابقين لاوانهم ، بل ان الاخلاص للرسالة الاصلاحية والايمان بعامل الفكر يدفعنا الى ان نحرص اولاً وقبل كل شيء على ايقاظ الملكات الروحية في شعبنا وعلى رفع مستواه الفكري اولاً وعندها نستطيع ان نقول بان نظامه الذي نحققه منبثق عن نفسه وله جذوره في داخله وصميمه وبانه نظام موطد الاركان لا يخشى عليه من الزوال السريع مـا دامت وراءه دعامات فكرية وروحية تدعمه . وقد يطول انتظارنا وقد تزداد مشقاتنا ولكن الانتظار والمشقة لم يكونا في يوم من الايام من مبررات الوقوع في الخطأ وبناء المجتمع بناء مؤقتاً .

وجملة القول علينا ان نسعى لنحقق الفرد الحضاري لا الفرد المدني وعلينـا ان نسعى لنخلق في مجتمعنا حضارة تقوم على فيض نفوسنا بعد ان تتغذى غذاءها الكافي لا لنخلق فيه مدنية ننقل تبلورها قبل ان ننقلها ونقبس انحلالها قبل ان نقبسها ونجـار في نتاجها الشكلية ومعطياتهـا المادية — والمرء يحار في انتخاب الاشكال والصور ولكنه لا يحار ابداً في السير بالمشاعر الكلية اذا ما هزته — ستتبدد امامنا كثير من المشاكل المصطنعة خاطئة الوضع عندما نعرف الفرق بين حضارة ومدنية وسنرى ان مشكلة تحديد نظام على نظـام او وضع على وضع او مظهر على مظهر مشكلة لا تحل بالحكم الخارجي او التحمس السطحي وانما تحل حلاً طبيعياً يوم تكون افكار الامة فائضة بصورة عفوية عن كليتها المبدعة . كلنـا يشعر اليوم بان الذي نفقده ونفتقده بالم هو محور للتوازن ندور حوله او قيمة من القيم نتكيء عليها ، وما هذا القلق الا لاننا نريد ان نتقبل الامور تقبلاً خارجياً وان ندع الاحكام الحرة المنبثقة عن نفوس كلية شاعرة بذاتها الى الاحكام المصطنعة التي تصدر عن تمييز وادراك خارجين لامور عددية ومظاهر كمية هي في واقعها فوق العدد وفوق الكم ولكننا نأبى الا ان نعتبرها كذلك فتدركنا الحيرة ونقع في الاضطراب .

كل الذي نشكوه اننا نجتزئ المشكلة الكونية واننـا لا نحاول ابداً ان نجمل مشاكلنا كلها وحلولها كلها منبثقة من روح كلية ينتجها فهم كلي لذاتنا ويولدها اضطلاع رحب واتصال حي بمنابع الخصب في الوجود .

القاهرة — عبدالله عبد الدائم

الحسناء البائسة

لقيتها في طريق موحش تسير وحدها كالشريدة
تبكي في صمت بدموع حرى ، ولما ترفقت بها
وتقدمت لمساعدتها وسريت عنها بحناني كشفت
لي خبيئة صدرها وشرحت لي قصة حظها العاثر
وما جلبه عليها جمالها الساحر
فالى كل حسناء يناوئها القدر اهدي قصيدتي

ايه فتاتي ! كنت عنوان الطهارة والسناء
تهدين احلى البرء للقلب المضرّج بالشقاء
ما الزمان قسا عليك وانت في وكر امين
بين الرفاق وبين اهلك والاقارب تنعمين ؟
يا هل ترى جف المعين من القلوب الراحمة
أم هل ترى مليء المعين من القلوب الظالمة ؟
كم من صديق كان يرجو ثم خانك ذا الصديق
من بعد ان صادقته وصحبته طول الطريق
قد اعلن الدهر خفاياه فاضحى في افتضاح
يا بئس من اودعت سرك في حماه المستباح

*

ان الحياة ضنينة بالخير يا هذي الفتاة
بحر تعكر بالخلائق ، رجع لجته الشكاة
وعلى شواطئه القلوب تئن من جرح أليم
تبكي العيون بكاء قلب خانه الحظ الوسيم
بعض يفتش عن رفيق كي يعيش مع الرفيق
والبعض يمضي فوق سطح الارض في لهو طليق
البعض يهزج عند زهر الروض باللحن الجميل
البعض لا يرجو سوى ري يبل به الغليل
واذا السحاب وقد تلبد بالغيوم وبالرعود
والقدر يفتح جوفه والبنت تقذف للوقود
والدهر يسخر والرجال كأنهم رسل الحمام
والمد يطغى فوق شطآن الحياة والانتقام

*

يا دهر حسبك قسوة واعطف على ذات الجمال
تلك التي تهب الحياة من الملاحة والكمال
بالامس كم حب رأيناه لديها ينحني
واليوم اصبحت الخلائق عن سناها تنثني
طلعت عليهم في الصباح كأنها الرب الجديد
رب المباهج والمفاتن والعواطف والقصيد
هذا الآله وكيف ينكره غشوم ملحد
ولكم تهاوى العابدون اليه كي يتزودوا
فتكاتفوا حول الآله وقد ترنمت الشفاه
حتى اذا منه ارتووا تركوا الضراعة والصلاة

*

يا دهر مجّد روحها فلروحها سر الفنون
قهرت قوى المتطفلين وكلهم اهل الجنون
يا ليت حظك يا فتاتي قد تجلى في السماء
أو ليت حظك يا فتاتي ما رأى ذاك الدهاء
اظلت عمرك في حراسة ذي القلوب الراحمة
وتحاربين الظلم في هذي النفوس الغاشمة
وتظل تدوي في المعالم والحياة الخاوية
نغمات موسيقى تذوب لها القلوب القاسية
وتدوم اطياف الانوثة في بهاء السؤدد
فتنضر الجو المعطر بالاريج المسعد

*

يا دهر تلك خواطر جياشة متناثرة
كلفائف الاوراق في ريح الخريف العابرة
طوراً تجمع ان ونت عنها افاعيل الرياح
اما اذا اخنت عليها في حمى السطو المباح
فهي الاسيفة اذ رماها ذلك الدهر الغشوم
عند الصحارى في مهب الريح تعبر بالركوم
وتظل تهوي في الحفائر كالرمال الحائرة
طوراً وطوراً تمتلي نحو الغيوم السائرة

المنصوره — مصر   جميلة العلايلي

الادب الجبراني تاريخ ثورة

بقلم الاب طانيوس منعم

*



جبران فكرة متحمسة ، ثائرة ، هدامة بانية ، جبران شعلة من الحيــاة ما احترقت الا لتنير وما انارت الا لتحترق ، وبين انارتها واحتراقها ترميد اجيال وانظمة وعقائد وانبثاق اجيال وانظمة وعقائد .

جبران صوت الاثير الى الاعماق ونغمة الاعماق الى الاثير .

جبران انشودة الوجود الى الابدية وابدية تعي في صدرها اغاني الوجود .

جبران فلسفة شاملة ، وناموس حياة جديدة .

جبران تاريخ ثورة وثورة تاريخ .

*

هذه فكرتي في النابغة جبران خلقتهــا فيّ دراستي لمؤلفاته ، بحسب تاريخ صدورهــا ، متفهماً تلك الروح السابحة في مسارح الخيال الجالسة على عرش الابد متتبعاً تطوراتها — من « الاجنحة المتكسرة » الى « آلهة الارض » ولا اكتم القاريء ان الخمرة التي رشفتها من كاس جبران ، صحوت بها من مخدرات وراثية تقليدية رسمت في مخيلتي صورة مشوهة لشخصية هذا النابغة الادبية وبلغت بي مبلغ التحدي لرسومه ومؤلفاته ، وما كانت هذه الرسوم وتلك المؤلفات لتلقى مني غير نظرة عابرة وابتسامة ساخرة .

امــا وقد صحوت من خدري ، وسبرت غور تلك الروح واحطت بنزاع تلك العقلية الجبارة واهدافها في الحياة فلا بد لي من ان اقول كلمتي في جبران ، ولا احسبني بلغت شأواً او وفيت حقــاً .

*

قالوا : جبران خيالي الى حد الاغراق والغموض ، ومتطرف الى حد الجنون والكفر — قالوا وكثيراً ما قالوا — ويقولون ولا تصدق يا قارئي كل ما يقال ، وتحام ان تقع في ما وقعت به قبلك لئلا تحرم رشفة من ذلك الكوثر العذب او قبساً من تلك الشعلة المضطرمة الكامنة في ضمير الزمان والخالدة فوق بقايا العصور .

فجبران غير غامض في خياله ولا مجنون في تطرفه ، انما هو ذو خيال خالق مبدع ، ولا يهضم هذا النموذج العالي من الادب الجبراني الا من وهب عقلاً سماحاً نافذاً يتسامى فوق المرئيات والمألوفات ، وعيناً تمزق بقوة نظرها اغشية الماضي لتخترق حجب المستقبل ، لان البرك الآسنة الموبوءة بالحشرات لا تصير شراباً للجبابرة ما لم تتبخر بحرارة الشمس .

فعبثاً تحاول فهم جبران ما دمت سخيفاً في افكارك سافاً في رغائبك ناقص المعرفة بالوجود ونواميس الحياة محافظاً على ما علق في لفائف وجدانك من ادران التقاليد وموبقات التعاليم .

واذا طمعت في ان تقيس جبران وتعاليمه وادبه بمقاييس البشر التي وضعها الاقتباس والتقليد بين شفتيك فتكون ظلمت نفسك وظلمت جبران ، لان من تطمع في اخضاعه لهذه المقاييس المحدودة هو جزء من الحياة غير محدود .

أما سمعته في «ارواحه المتمردة» متمرداً على المقاييس والشرائع البشرية ، واضعــاً للاخلاق قيماً جديدة ، وفي « عواصفه » عاصفة ثائرة على الانظمة الفاسدة تجتاح كل ما لا يعد من طبيعة الحياة ؟ وهل كل ما نقاسيه نحن الآن وتعــانيه البشرية من ويلات هذا العراك الدامي والغمرة اللاهبـــة الا نتيجة منطقية لمفاسد الانظمة والمقاييس .

ألا سر بروحك في « مواكب » روحه فتسمع صوتين يتحدثان اليك بوحي من العــلاء ، صوت شيخ متشائم يتفلسف وصوت شاب متفائل ، ببساطة الحياة ، وفي هذا الجدال الفلسفي ايمان مطلق بالذات الالهية الشاملة ، وتمرد مطلق على قيود الجسد وقيود الفكر .

ألا فاسمعه في «النبي» فيلسوفاً درى الحياة واسرارها ، وواعظاً يستقي منها مادة عظاته ، ويأخذ من الكواكب شعلة ايمانه لينير بها قلبك المظلم ، فتؤمن بعدل الحياة الكلية وتبتسم لهـــا متفائلاً

الخير والبركات .

كن من شئت وادرس النبي فيعمر الايمان قلبك ويغمر الرجاء نفسك ولعمري ان كتاباً يبعث في النفوس ايماناً ورجاء لهو كتاب عظات خالدات جدير بالقراءة والدرس ، والكاتب الذي بلغ به النضوج مبلغ النبوّة فانتجت فكرته مولوداً إلهياً لهو رسول حياة لمن في القبور ..

*

من غرائب حالنا نحن الشرقيين ان تبهر القشور البراقة عيوننا فتعمى عن ادراك اللبـاب من الامور والحقائق من الاشخاص ، وحقيقة الاشخاص كما يقول جبران هي في ما لا يقولون لا في مـا يقولون فنحفل « بالشاعر الذي يضرب الطنبور امام ابواب الامراء وينثر الازهار في الاعراس ، وبالكاتب الذي يشمخ برأسه الى ما فوق رؤوسنا اما ما في داخل عقله فيدب في هوة الماضي حيث القت الاجيال ما رث من اثوابها ، وتكرم « الحاكم الذي يتصاغر امام من ولاه ويستصغر من تولى عليهم والسياسي الذي يقول : اريد ان انتفع من امتي ، والتاجر : الذي يتخذ عوز الناس وسيلة للربح والانتفاخ ، والصحافي الذي يبيع فكرته ومبدأه في سوق النخاسين وينمو ويترعرع على ما يفرزه الاجتماع من ويلات ومصائب » .

نحفل ونكرم كل هؤلاء ونعرض عمن يسكب روحه خمرة علوية في اقداح نظيفة وينظم كل مـا في الحياة من محبة وجمال فيقدمه ضمائم زهور عابقة الشذى الى مواكب الامم السائرة في سبل التطور الى الغد المجهول ..

تشم انوفنا روائح البخور المتصاعدة حول العروش والمنـابر واريج الدماء المسفوحة تحت اقدام الاقوياء، امـا العطور والروائح التي تهدى لنا في مجامر نقية كالاجين ناصعة كالثلج فلا تشمها انوفنا لانها من تراب ولا تحيي بها قلوبنا لانها من عجين .

فبحقكم اخبروني يا ابناء وطني لمـاذا فهم الغربيون جبران على عكس ما فهمناه نحن فاقبلوا على دراسته اقبالنا على قصص الف ليلة وليلة وامثالها ؟ ولماذا آمنوا به كرسول جديد الى عالم الادب وكفرنا به نحن وكفرناه كأنه من زبانية الجحيم ؟ ولم نكرمه الا بقولنا : جبران نابغة .. اتظنون ان تكريم الادباء وتقدير عظماء التاريخ ان نغمرهم بالالقاب ونزين صدورهم بالاوسمة قبل الوفاة وبعد الوفاة ؟ ان نفس جبران مثقلة بأثمارها فاجنوا منها لانكم جائعون وكلوا واشبعوا ، خذوا منها ولا تعطوها وهكذا تكرمونها :

« نفسي مثقلة بأثمارها فهل من جائع يجني ويأكل ويشبع ؟ »

جبران لبناني ، وادبه ادب لبناني بخطوطه والوانه يمثل طبيعة لبنان بتأنه وهوائه بجباله واوديته بسمائه وارضه بسهوله وحزونه باحلامه وامانيه فيه عذوبة الماء ورقة الهواء وثورة العاصفة وديباجة الربيع وخصوبة الخريف وعزم الشتاء وموسيقى الانهار والجداول وتعاقب الفصول ، هو ادب فرد في ثورة مجموع رضي بامراضه النفسية فعدها فضائل نفسية وقنع بمفاسد مجتمعه فحسبها من طبيعة مجتمعه وغرق في سكرة الانظمة والتقاليد فظنها انفاس الآلهة ، ادب فرد تكلم بما يشعر فاندفع كالبركان في مجموع يشعر ولكنه لا يتكلم ، وما رسومه العارية من اثوابها غير رمز للحياة والحقيقة العارية من اثواب الكذب والتصنع ، البادية في هذا الادب الجبراني العـالي الحافل بكل عناصر الشعر والرسم والموسيقى وكل احساسات الحياة الخصبة النابضة بالايمان والتجدد مع ما فيه من نتوءات بارزة عن جادة الحقائق الالهية ومبادىء الفلسفة الاجتماعية .

ولعلك تستوقفني هنيهة لتسألني عن نتائج وعمليات هذا الادب الثائر في المجتمع . رويدك يا هذا .. لا تتعجـل التاريخ .. ولا تستبق النواميس . فانت وجبران لا تستطيعـان ان تغيرا مجرى التاريخ كما لا يستطيع غيركما ان يوقفه عن سيره ، لان ذلك الهيكل الاجتماعي المركب الذي نسميه حضارة قد خلقه التطور التاريخي في فترات متباينة ومرحلات متعاونة ، والتاريخ وحده موكل بهدمه ومسؤول عن ترميمه .. وهذا الادب الذي تنعته بالفشل وتدعي عجزه عن اصلاح ما فسد وتقويم ما اعوج ان هو الا توطئة تاريخية لانقلاب اجتماعي هائل تهيىء الجماهير الواعية لهدم القديم البالي وبناء الجديد الصالح .

ولئن جهل جبران او تناسى العوامل الرئيسية لهـذه الفوضى الاجتماعية الفاشية في المركب البشري كما صورها في « مرتا البانية » و « يوحنا المجنون » و « وورده الهاني » و « خليل الكافر » ولم يكن لها من ادبه وثورته نصيب معلوم فلأنه لم يبحث كعالم ، بل احس كشاعر واديب فرسم وصوّر ، واصبح ادبه شعوراً حياً تتحرك به الجماهير في المرحلة التاريخية الظاهرة طلائعهـا للعالم ، لاصلاح الاسباب ومداواة العلل الـتي جهلها او تناساها جبران ، وان تنتهي هذه المرحلة حتى يكون جبران ناجحاً في ثورته ويكون ادبه تاريخ ثورة وثورة تاريخ .

طانيوس منعم

معجم الالفاظ العامية العربية والدخيلة

بقلم عيسى اسكندر المعلوف

[ك]

الكابوس – من كلمة Incubus اللاتينية بمعنى الاضجاع على الشيء. وعند الاطباء ما يصيب النائم من الثقل والاحلام المزعجة حتى يصير كالخشبة فيسمع ويرى ولا يتكلم فصيحه الجاثوم والجثام . والكابوسة سريانية بمعنى مقبض المحراث .

كاحش – لعلها من كاش السريانية اذا اشتغل الليل قبل النهار لتحصيل ما يقوم بأود عيلته . ويحرفونها احياناً بكلمة (طاحش) وفصيحها اكتدح لعياله سعى و كسب الرزق . وكدح جهد نفسه في العمل . وعصف واعتصف عياله اكتسب لهم . وتحرف لعياله تكسب من كل حرفة .

كارّو – العجلة وفي القاموس العجلة بالتحريك التي يجرها الثور وفصيحه الكار وهو عجلة الطعام ويسمى عند العامة ايضاً الحنطور وهو عربة للتحميل عليها وقد تكون للركوب .

كاشي – تركيتها (قوشي) بمعنى زمرة وجماعة وفوج وبمعناها عند العامة (بوطه) وهذه فارسية وهي ما يأخذه صاحب المقمرة من المقامرين عنده ، استعملوها للجماعة .

كاغد – فارسية بمعنى القرطاس وهذه يونانية وعربيتها الفصيحة ورق

كافور – فارسية من لغة ،لقاً (كابور) لانه يستخرج منها بكثرة وهو طيب ذكي الرائحة .

كبتل الشيء – اي صيره كتلاً كتلاً كروية فهي تحريف كتّل ابدلوا التاء الاولى باء لتخفيفها وذلك كثير عند العامة .

الكبشة – تركية بمعنى المغرفة المثقبة تستعمل المرز المفافل وهي غير عميقة القعر كالمصفاة .

الكبشه – تركيتها (قوبجه) بمعنى عروة او زر ثوب ومنها يقولون تكبش فيه اذا تمسك كأنه زر او عروة موثقة .

كدح الاعرج – فصيحها رمل اذا عدا مائلا الى احدجانبيه رافعاً الاخر .

كدن البقر – اذا جمع ثورين في نير واحد عند الحراثة ، سريانية ومنها الكدنة لفلاحة يوم واحد . والكدانة ما يوضع على رقبة الثورين من النير ، والفصيح قرن الثورين اذا جمعهما في نير واحد .

كديش – الحصان غير الاصيل تركيتها (ايكديش) اي الحصان المخصي وهو البرذون وهذه فارسية بمعنى الشديد الجري (بردن)

كركوز – تركيتها (قره قوز) بمعنى نوَر – جيل من الناس – نوع من الالعاب .

كستنا – تركيتها (كستانه) اسم للشاهبلوط اي ملك البلوط وهو ثمر شجر يشوى او يسلق ويؤكل اشبه بالبلوط فصيحه قسطل . والكستنا اسم للون الاحمر المشوي

كسدر – من (كزديرمك) التركية بمعنى المشي والتجول في الرياض للتنزه .

كسر له خشمه – اذا اذله والخشم الانف والفصيح رغم انفه اذا مرغه بالرغام اي التراب كناية عن اذلاله ويقال كسر له انفه ورقبته .

الكشك – فارسية بمعنى ماء الشعير او الحنطة مطبوخاً . وهو الان دقيق يتخذ من نقيع الحنطة باللبن او الحليب حتى يختمر فيفت وينحل فيصير طعاماً يحبه الشرقيون قال الشاعر :

ألكشك داء دفين	محرك للسواكن
الاصل درٌّ وبرٌّ	نعم الجدود ولكن . .

أي ولكن بئس من ولدوا .

كشك الفقراء – فصيحه (الصحيرة) وهي الحليب يُغلى ثم يُصب عليه السمن فيشرب شرباً وربما ذر عليه الدقيق فيحسى .

كفشل الشيء وقفشه – اذا اخذه كله . فصيحه وعب الشيء اخذه اجمع ولم يترك منه شيئاً واستوعبه مثلها . واستأصله .

الكفكير – ومؤنثه كفكيرة . تركية مركبة من (كف) بمعنى رغوة و (كير) من مصدر (كيرمتان) اي القابض على والممسك فمعناها القابض على الرغوة . وهي ملعقة كبيرة عميقة القعر يصبون بها السوائل المطبوخة فصيحها المغرفة والمطفحة .

الكَلَك – فارسيته (كالَك) بمعنى القصب الفارسي فصيحه (الطوف) وهذه سريانية بمعنى ما يطفو على وجه الماء . وهو قُرَب تنفخ وتجمع فيجلس عليها الراكب في المياه وتسرع في المنحدرات .

الكمر – فارسية بمعنى المنطقة – الحزام وهو حزام يشد على الوسط وتوضع فيه الدراهم – وفصيحه (الهميان) و (المعضدة) وهي هميان الدراهم .

الكمرك – تركيته (كومروك) بمعنى ادارة الرسوم ويقال (جمرك ايضاً) ، وفصيحها (الممكس) اي محل اخذ المكوس . والمكس دراهم كانت تؤخذ في الجاهلية من بائعي السلع في الاسواق . والوزيعة تضرب على نوع السلعة .

كوليرا – يونانية من (خولا) مرارة بمعنى اصفر و(ايرا) هواء فالمعنى (الهواء الاصفر) . والهيضة بمعناها قال الشيخ ناصيف اليازجي:

كنا نحاذر من عدو ازرق	حتى بلينا بالعدو الاصفر

كونسول – او كونصول افرنسيتها onsole من اثاث البيت قال ابن سيده في المخصص (٦ : ٢) الصيهور منبر من طين او خشب يوضع عليه متاع البيت من صفر (نحاس اصفر) ونحوه فهو فصيحه .

كاني ماني – قبطية بمعنى سمن وعسل تستعملها العامة عندنا بمعنى الشيء المختلط مع غير اجناسه .

[ل]

ويدخل فيها حرف « لا » ايضاً

لابَ – تقول لاب على الشيء اذا طلبه ولم يحصل عليه من لاب البعير حول الماء طاف ليشرب ولم يقدر لكثرة الازدحام فهو لائب اي عطشان يحوم حول الحوض ولا يقدر ان يصيب الماء . جمعها لؤوب يقولون : تركت الابل لوائب على الماء .

لُبه – تقول طبخ الشيء لبه أي رخواً تركيتها (لابه) أي الرز المطبوخ رخواً . واللزقة ، والضماد ، والرخو . فصيحها رخو .

لت ولتلت – فهو لتأت أي اكثر من الكلام الهراء . كأنها من اللاتة وهي اليمين الكاذبة . وفصيحها لات يلوت لوتاً اذا اخبر بغير ما يسأل عنه . ولات الخبر كتمه وحبسه عن وجهه وبهذا المعنى أهرأ الكلام وفي الكلام اكثره ولم يصب فيه . وهفت تكلم كثيراً بلا روية وثرثر .

لحم بائت – غبيب . ولحم جديد – غريض – ولحم بخل سكباج – ولحم مقدد القديد . ولحم يابس الوشيق كما في فقه اللغة .

لزقة – هي خرقة توضع على العضو الموجوع مطلية بدواء ونحوه ، فصيحها ضمادة ورفادة وكمادة . ولزقة المرهم هي السبيخة .

لطي له – وربط له – اذا تخبأ ليمسكه فصيحها توكف لفلان تتبعه وتعرض له حتى يلقاه .

لقمة الخلاص – الوليمة عند ولادة المرأة فصيحها الخرية طعام النفساء عند ولادتها . والخُرس . وخرس على النفساء اطعمها الخرسة (وهو طعامها الخاص) في ولادتها . والفريقة حلبة تطبخ مع الحبوب للنفساء .

لكش – تقول العامة لكش فلان فلاناً اذا ضربه بيده اودفعه بها . كأنها تحريف لكثه اذا ضربه بيده او رجله . ولكزه وكزه ونكزه بطارف اصبعه . ولكه ولكمه عند الفصحاء ضربه بجمع كفه .

لوفك – كذب وتكاسل . لعلها من أفك اذا كذب او من لفق الحديث صنعه من عند نفسه وزخرفه بالباطل فحرفت هكذا والترك يقولون (لوك) بمعنى بطال بطيء بثقالة .

ليلي – يقول المغني في انشاده (يا ليلي) ويكررها وهي كلمة قبطية بمعنى يا طربي ويا فرحي .

[م]

ما يعيش لها اولاد – يقولونها للمرأة التي تفقد اولادها وفصيحها امرأة ثكول فاذا فقدتهم كلهم سميت المثكال واذا كانت كثيرة الاسقاط في حبلها فهي المجهض والمجهاض .

ما يكتم سره – وسره على راس السطح وفصيحه البؤوح الذي يبوح بما في صدره .

مازه – او ماظه . ما يؤخذ من النقل عند شرب الكحول ونحوه . تحريف لماظه وهو ما يتملل به قبل الغذاء . ومثلها اللمجة . والعلالة . والنهنة . وماظه يونانية طاولة .

مانشتر – آلة للاطباء لبضع العرق اي شقه فصيحها المشرط والمبضع والمفصد وتركيتها (نشتر)

مبحبح – تقال للاتساع مثل رجل مبحبح بالمال اي مثرٍ . ووعاء مبحبح واسع فصيحه وعيب وهو ما يستوعب كل ما جعل فيه .

المبرومة – سوار للنساء من حلاهنّ فصيحها (القلد) اي السوار المفتول .

المبولة – عند العامة وعاء البول في الجسم اي المثانة عند الفصحاء وفي الفصيح المبولة كوز يبال فيه وهو المعروف عند العامة بالارضية والقصرية والمستعملة . والمبولة عند الفصحاء ما يدر البول تقول هذا النبات او الطعام او الدواء مبولة اي يدر البول . والبوال داء يكثر منه البول وهو داء السكر (دیابیت) والبالة القارورة ومثن اصيب بالمثانة .

مرس – في لعب الورق والنرد (الطاولة) تركية بمعنى الغلبة في اللعب مرة واحدة او مضاعفاً اي مرتين .

مشط – الرجل واليد قفاهما فارسيتها (مشت) وكذلك في التركية والكردية والمعنى جمع الكف او القفا منها وفي الفصيح الجمع الكف حين تقبضها وكذلك القبضة والراحة .

مشوار – المشي الى مسافة ومن الخيل (الشوط) في الجري . والمشوار سير الدابة وجريها حين تجرب وتعرض للبيع . وشوّر الدابة ركبها عند عرضها للبيع ليختبرها والعامة تقول (جربها) . والمشوار بمعنى الذهاب للتنزه .

المشايلة – عند العامة البيع بلا وزن ولا كيل وفصيحها المجازفة تقول : جزف الشيء باعه واشتراه بغير وزن ولا كيل . واجترف الشيء اشتراه جزافاً . فهو بيع جزيف وجزاف .

مطروم – ابله لعلها من تطرّم في كلامه اذا تعقد عليه واختلط . وتقول العامة بهذا المعنى مطرطع اي مختبل ومختل . وطرطوع وهي سريانية من اختلط الماء واختبط عند انحداره .

المطموطة – ولحم ممطمط فصيحها الهرط وهو اللحم المهزول كالمخاط لا ينتفع به لغثاثته .

معبعب – تقول العامة ثوب معبعب أي واسع وفي تهذيب الالفاظ لابن السكيت : ثوب عبعب أي واسع .

المعكرونة – طعام كالخيوط يطبخ من الدقيق . والعامة تسميها الشعيرية لانها كالشعر . وفصيحها الاطرية .

المعلاق – ما يقتلعه الجزّار من بطن الشاة وهو ما علق بالحلقوم من الرئتين والقلب والكبد والطحال وفصيحها السحارة يأخذها الجزار من الذبيحة كالجزارة اي النعمة . والجزارة اطراف الجزور اليدان والرجلان لان الجزار يأخذها اجرة فهي الكوارع

المغلاجي – بمعنى الشقي الذي يقطع السابلة على الناس فلعلها من الغملج والغمالج وهو الذي لا يثبت على حالة فيتقلب بحسب الاهواء . او من تغلج عليه اذا ظلمه وبغى عليه . فقالوا تغلج ثم مغلاجي على عادتهم في التحريف . فصيحه قاطع الطريق ومقطاع أي لا يثبت على مؤاخاة احد والمتلصص .

عيسى اسكندر المعلوف

الزهرة

بقلم صالح محمد العجيري

الزُهرة هي اول ما يلفت النظر من اجرام السماء بعد غيبوبة الشمس والتي جعلها الاقدمون آلهة الحب والجمال . ومما لا يخفى على كل لبيب ان مدارها داخل مدار الارض لذا فهي ترى دائماً حوالي الشمس فاذا كانت في نصف مدارها السابق للشمس نظرت صباحاً قبل الشروق وتسمى آنئذ (نجمة الصباح) اما اذا كانت في النصف اللاحق لها فانها ترى مساء وتسمى (نجمة المساء) وهي تدور حول الشمس مرة في كل ٢٢٤ يوماً و١٦ ساعة و٤٩ دقيقة وتدور حول محورها في كل ٢٣ ساعة و ٢١ دقيقة و ٢٤ ثانية ، واقصر بعد لها عن الشمس هو (٠٠٠ ٩٢٥ ٢٦) فرسخاً واوسطه (٠٠٠ ٧٥٠ ٢٦) فرسخاً ويبلغ طول فلكها (٠٠٠ ٠٠٠ ١٦٨) فرسخاً وحيث انها تقطع هذه المسافة في ٢٢٤ يوماً فتكون سرعتها في الثانية (٣٤٦٠٠) متراً ويبلغ طول قطرها (٠٠٠ ١٢) كيلومتراً ومحيطها (٩٥٠٠) فرسخاً وحجمها ٩٢ ٪ من حجم الارض ووزنها ٨١ ٪ من وزنها وكثافتها ٠،٩٠٥ باتخاذ مادة الارض وحدة الكثافة .

وجبال الزهرة متمادية في الارتفاع عن جبال الارض حيث يبلغ ارتفاع البعض منها (٤٤٠٠٠) متراً فوق مستوياته المنخفضة التي تقوم مقام قاع البحر وهذا يعني انها تعادل ارتفاع جبال هيمالايا مرتين تقريباً .

وتمر الزهرة مرتين في كل قرن بين الشمس والارض وترى كنقطة حمراء تخترق قرص الشمس ببطء واليك جدولاً باوقات مرورها من القرن العشرين الى القرن الخامس والعشرين حسب مبدأ الطول البريطاني (غرينويتش) بالزمن الزوالي :

السنة	اليوم	الشهر	توسط الزهرة في الشمس		مدة مرورها بها	
			ساعة	دقيقة	ساعة	دقيقة
٢٠٠٤	٧	حزيران	١٨	٥٥	٥	٣٠
٢٠١٢	٥	»	١١	٢١	٦	٤٢
٢١١٧	١٠	كانون اول	١٣	١	٤	٤٦
٢١٢٥	٨	»	١	١٣	٥	٣٧
٢٢٤٧	١١	حزيران	٢٢	٤٤	٤	١٦
٢٢٥٥	٨	»	١٤	٤٨	٨	١٢
٢٣٦٠	١٢	كانون اول	١١	٥٣	٥	٢٥
٢٣٦٨	١٠	»		٤	٤	٥٩

ولتحويل هذا الزمن الى توقيت أي بلد تريد اضف طول البلد المطلوب بعد ضربه في (٤) وقسمة الحاصل على (٦٠) الى الوقت المبين في الجدول ان كان الطول شرقياً والا فانقصه ان كان غربياً . مثال ذلك طول الكويت $\frac{48 \times 4}{60}$ = س٣ د١٢ وباضافة هـذا الفرق

جحود

ليوسف الخال

●

ليت الهوى ما بيننـــا يمضو
فأحبه عندي هوًى غضّ ،
متفلت ابداً ، متى غرُبتْ
شمسي ، وراود جفنيَ الغمضُ :
ان العلى ، حتى العلى ، سأمٌ
لو طاوعتْ وتمنع الخفض ،

وهنيهة اللذات هل نعمت
الا لان نعيمهـــا ومضُ !
هيهات ! ما همي اذا طويتْ
ليَ العهودُ والفهـــا النقض ،
ومضى الذي مـــا كنت احسبه
يمضي ، وتبقى بعده الارض ،
فلقد غزوت الحب من صغري
وغنمت ما لا يغنم البعض :
فعلمت ان الحب منتهلٌ
خابت لديه الانفس الرمض
تطفو على صفحاته نعمٌ
ويغوص في اعماقه الرفض

الى توقيت غرينويتش يحصل توقيت الكويت وهو المطلوب .

ومن المناظر الطبيعية الخلابة في النظام الشمسي منظر الارض من الزهرة فان الشاخص اليها يراها في حركتها حول نفسهـــا ذات الوان مختلفة تتعاقب تلو بعضها البعض فمن اخضر الى ابيض تبعاً لحالة الجهة المعرضة لنظر الناظر اذا كانت ارضاً مزروعة او بحاراً او صحارى او سحباً وهو منظر يسهل معه على سكان الزهرة — ان كانت مسكونة — ان يشاهدوا حركة الارض بالعين المجردة ويتأكدوا — اذا كانوا فلكيين — من مساواة اليوم عندنا لليوم عندهم تقريباً . اما القمر فيظهر كنقطة صغيرة بيضاء تلازم الارض في حركتها في الفضاء وتدور حولها ويبدو لاعينهم ان البعد الفاصل بينه وبينها يعادل طول قطره على ما نراه نحن من هنا ويكون سناؤها شديداً اذ يعادل ٥ ٠/٠ من سناء ضوء القمر في انبعاثه الينا ليلة تمامه .

واذا وجد في الزهرة كائنات بشرية فلا بد ان تشابه نظيرتها على سطح الارض جسماً وعقلاً وانمـــا باختلاف في عناصر الاعضاء يوافق تقلباتها الجوية وقد يجوز ان تفوقنا تلك الكائنات في النشاط والهمة والمثابرة على العمل وغير ذلك من الصفات التي تمتاز بهـــا امم الارض النازلة حيث تكثر التقلبات الجوية دون غيرها من الامم الساكنة في البلاد المعتدلة فان من شأنها الركون الى الدعة والتواني كما هو مشاهد ومعلوم . ولسنا نتطرف الى تحديد اعضاء تلك الكائنات ووصف طبائعها وعاداتها واخلاقهـــا من باب الفرض والتخمين خيفة ان نرمى بالتطلع الى ما ليس من شأننا البحث فيه فلا نقول مثلاً ان الاحوال الجوية في كوكب الزهرة تقتضي ان يكون لسكانها اجنحة يطيرون بها الى حيث تحسن الاقامة لهم كلما طرأ حادث من الحوادث الجوية الفجائية كأن يهاجروا في الخريف من نصف كرتهم الى النصف الآخر اذ يبدو هذا القول واشباهه لهم من تخرصات العجائز واساطير الاولين على انه لو تحقق مثل هذا الحدس لما كان ثمت حرج ولا جناح بل لدل على تمام قدرة الخالق وجليل صنعه وحسبنا اذا سرحنا الطرف حولنا على سطح هذه الكرة الارضية ما نراه في كل خريف من مهاجرة الطيور للجهات الشمالية الباردة الى حيث تنتعش بحرارة الشمس فاذا عادت حرارة الشمس الى موطنها الاصلي اسرعت في الأوبة اليه من حيث اتت واذا كان هذا شأن الحيوانات في الارض فلماذا لا تكون الكائنات البشرية في الزهرة مثلها والبواعث على المهاجرة لكلا الفريقين متماثلة هذا فضلاً عن اختصاصها بما لم تختص به الحيوانات من العقل والادراك .

كويت — صالح محمد العجيري



نريد من مندوب لبنان الثقافي

في جامعة الدول العربية

بمناسبة اجتماع اللجان الفرعية لجامعة الدول العربية التي تألفت لاعداد مشروعات التعاون بين اقطار العالم العربي ، نحب ان نضع بين يدي مندوب لبنان هذه الخطوط العامة ، لتنظيم التعاون :

١ – ان يكون محور التربية اعداد كائن عربي تقدمي ، فبكونه عربياً اي كائناً له خصائصه نحرض فيه كوامن الوراثات الغافية ونحييها لديه احياء فيه تحيز وجودي ، يبعثه على الخلق والابداع او محاولتهما ، وبكونه تقدمياً نذكي فيه استعداد الهدم والبناء ، فلا يجمد او يتخلف بل يظل وملؤه الحياة الناشطة المشبوبة .

٢ – ان يكون محور التعليم على انه رياضة « سوبدية » في الفكر ، اذا استقام لنا هذا التعبير . فقد ظهر من كل المناهج التي تمرسنا عليها والتي تقترح اليوم لنتمرس عليها غداً ، انها عنيت بالمادة الفكرية « المعارف » دون الفكر . وهذه المادة سرعان ما تتبلور فتجمد في غير تمثيل وهضم ، وبذلك لا تغدو شيئاً يعين على الفكر بل على العكس تحدده وتضعف منه ان لم تشله شلاً تاماً . وهي اخيراً تثبت في فروع بعينها ، فلا تتكيف حسب الدواعي والمقتضيات بل لا تقبل التكيف الا في عناء كبير كما هي طرائقنا اليوم لحيثما نريد ثقافة ثانوية مثلاً نطالع بنفس المنهج ونفس المواد التدريسية دون ما نظر الى ان بعضها مفيد او لا ، ودون ما نظر الى ان ما يفيد هؤلاء ليس يفيد اولئك الى آخر مما هنالك من اعتبارات ومحرضات . فكان معنى هذا اننا عنينا بالغذاء دون ان نعنى بالمعدة فاهملت وتبلدت تبلداً اورثها الضعف وافقدها المرونة والحيوية .

٣ – ان تكون الاقليمية وبتعبير آخر الاقامة في التعليم فقط لافي التربية ، فان الاقامة في التعليم تعين على تنويع الكفاءة والجهد وتحد من تكرارهما ، بينما هي في التربية مبعث للتغاير فالتناكر القوميين .

٤ – ان تكون الاقلمة التعليمية في اتجاه كل اقتصادي عربي ، ونعني بهذا ان توضع المناهج وتوزع ، كما لو كانت البلاد العربية تؤلف اليوم وحدة اقتصادية متعاونة فيما بينها ومستغنية بمواردها . وعلى مقتضى خصائص الاقاليم الجغرافية ينبني التوزيع التعليمي ، فلبنان مثلاً وهو جزء من وحدة اقتصادية وله خصائصه الجغرافية التي تحرض على نوع من العمل في الارض وعلى نوع آخر من العمل التجاري ، ينبغي ان تكون ممة مناهجه العامة توفير هذا الاستعداد قبل كل شيء .

٥ – التوجيه المهني في حدود الترفيه القومي (وهذا يقضي بتحديد الانتاج على مقدار الحاجة وبتحريم المنافسة في الداخل) .

٦ – الالحاح بتقرير مبدأ تكافؤ الفرص ، ليكفل المجتمع العربي شعباً يعيش راغداً دون ما يدفعه الى الوقوع في اسر حميات اجتماعية تحت التياع اليأس .

٧ – تعميم مبدأ الالزام في التعليم ، ليكفل المجتمع العربي شعباً يعيش ويتأمل لا انه يعيش فقط .

٨ – مكاتب التقدم الثقافي ونعني بها انشاء مكاتب في البلاد العربية ، من شأنها ان تتصل بكل الانتاج العلمي نظرياً وعملياً وتلخصه في سلسلة كتب دورية ، بحيث تصل المطالع العربي بالانتاج العام وتسمح له باستيعابه او على الاقل بالوقوف عليه . ومنشورات هذه المكاتب تسمح اولاً بتوحيد المصطلحات ، وثانياً بتوحيد العبارة العلمية والفنية .

٩ – كتاب الجامعة العربية مثل ما يسميه (جنتل gentile) كتاب الدولة ، وهذا يقضي بتوحيده ولاسيما في التاريخ والدين (المثل العليا) .

١٠ – تبادل المعلمين في شكل واسع وتقرير مبدأ الاعانة على الرحلات كجزء من المنهج الرياضي .

١١ – ايجاد ما نسميه « سنة حيوية قومية » تكون بمثابة سنة توجيهية ، تقع بعد الدراسة الاعدادية او الثانوية ، يعنى فيها بدرس الطبيعة العربية ومدى تفاوتها ، ومناحي الابداع او التخلف فيها ودرس الاجتماعية العربية في فلسفتها وبيئاتها ، وعوامل انجاحها ودرس الفطرة الادبية في الاقاليم العربية وتشخيص صفاتها ، ودرس الفلسفة القومية ، ودرس كيف ينجح القومي حيوياً وكيف يصل معارفه بالحياة .

ابو القاسم الشابي

والحديث عن ميادين التعاون الثقافي بين البـلاد العربية ، يدعونا الى الحديث عن اقطار عربية ما زالت بعيدة عن هذا التعاون ولا نتصل بها الا لماماً ، وعن طريق غير مباشر ، فان بلاد شمالي افريقيا فرضت عليها اوضاعها السياسية الخاصة ان تسمى منفردة ، وان تعمل في حياتها الثقافية مبتعدة عن شقيقاتها العربيات ، فالقارىء في الشرق العربي لا يتتبع مدى التطور الفكري والاجتماعي في المغرب العربي ، لانه اذا حـاول تتبعه حيل بينه وبين رغبته ، فالصحف لا تنشر شيئاً ذا قيمة عن المغرب ، لانهـا لا تدري عنه شيئاً ، وجاءت الحرب فكانت حائلاً كثيفـاً اضيف الى تلك الحوائل السابقة .

ذكرت هذا ، عندما وقعت في ادارة الاديب ، على اعداد من مجلة تونسية راقية هي « الثريا » ، وهي على مـا نعلم اكبر مجلة في شمـالي افريقيا ، يحررها كبار كتاب المغرب وتتناول موضوعات ثقافية هامة ، غير انه يبدو في حديثها او انبائهـا عن الشرق شيء من الاضطراب والخطأ والتشويه ، وتعنى بالادب والشعر منه على الخصوص . وقد بدأت تنشر منذ امد ، نماذج من شعر ابي القاسم الشابّي الشاعر التونسي الذي خسره الادب العربي الحديث منذ عشر سنوات ، دون ان يوفى حقه من الدرس والنقد والتحليل . وتقول الثريا ان ديوانه سيطبع قريباً .

وهذا الشاعر ، الذي حططنا رحالنـا عنده في جولتنا هذا الشهر ، بعد ان زودنا مندوب لبنـان الثقافي زاداً نرجو ان ينتفع به ، نقول ، هذا الشاعر ولد سنة ١٩٠٩ في مدينة « توزر » عاصمة الواحـات التونسية الجنوبية . وبعد ان حفظ القرآن في طفولته والتحق بجامع الزيتونه ، وتلقى العربية وعلوم الشريعة الاسلامية ، ونال الشهادة النهائية ١٩٢٦ ، عاد فالتحق بمدرسة الحقوق التونسية ونال اجازتهـا . ولكن مرض الصدر لم يدعه يتمم دراسته ، فانهمك بمعـالجة دائه ، وبقي معه في صراع وغلاب حتى صرعه المرض وذهب بحياته الغضة في ٨ تشرين الاول ١٩٣٤ .

لم يدرس الشابّي لغة اجنبية ، فكانت مطالعاته باللغة العربية ، وما حوته من ترجمات عن آداب الغرب ، وقد شغف بادب المهجر واستأسره منه اسلوب جبران فكانت نزعة جبران في الاسلوب واضحة في تعابيره وخياله . وله كتاب « الخيال الشعري عند العرب » وهو دراسة ضافية عن الادب العربي في جميع عصوره ، ومقارنته مع بعض ظواهر الادب الغربي .

ويتشح شعره باطار قـاتم من التشاؤم ، والشقاء والحزن ، فيدفعه الى التبرم بالحياة ومتاعبها . غير ان هذا الاطار لا يضعف من شخصيته ولا يذل من نفسه ، ولا يمنعه مطلقاً من ان يعاتب الدهر بعزة وكبرياء وعنف وتمرد . ولعل من الخير ان اشرك القراء معي ، فانقل اليهم هذه القصيدة من شعره العذب ، التي نشرتهـا له « الثريا » بعنوان : « يا ابن امي » .

خلقت طليقاً كطيف النسيم ... وحرا كنور الضحى في سماه

تغرد كالطير اين اندفعت ... وتشدو بمـا شاء وحي الآله

وتمرح بين ورود الصبـاح ... وتنعم بالنور انى تراه

وتمشي كما شئت بين المروج ... وتقطف ورد الربى في رباه

كذا صاغك الله يا ابن الوجود ... والقتك في الكون هذي الحياه

فمالك ترضى بذل القيود ... وتحني لمن كبلوك الجبـاه

وتسكت في النفس صوت الحيا ... ة القوي اذا مـا تغنى صداه

وتطبق اجفانك الناعسا ... ت عن الفجر والفجر عذب ضياه

وتقنع بالعيش بين الكهوف ؟! ... فاين النشيد ؟ واين الاياه ؟

أتخشى نشيد السماء الجميل ؟! ... أترهب نور السما في فضاه ؟!

ألا انهض وسر في سبيل الحياة ... فمن نام لم تنتظره الحيـاه

ولا تخش ممـا وراء التلاع ... فمـا ثم الا الضحى في صباه

والا ربيع الوجود الغرير ... يطرز بالورد ضافي رداه

والا اريج زهور الصبـاح ... ورف الاشعة بين الميـاه

والا حمـام المروج الانيق ... يغرد مندفعاً في غنـاه

الى النور ! فالنور عذب جميل ... الى النور ! فالنور ظل الآله

« جوّال »





خمسة شعراء جاهليين

للدكتور عمر فروخ والاستاذ عارف ابي شقرا – ٨٩ صفحة

اعرض في هذا المقال بعض ملاحظات بدت لي على هذا الكتاب او على الاصح على (هذه الدراسة) التي اراد المؤلفان (ان تتميز بالشمول في البحث والدقة في التأليف والتنظيم في العرض ...) وهي تصحيحات احسبها ضرورية وتعليقات وتحقيقات اقتضاها المقام قياماً بالواجب وحرصاً على فائدة الشباب المتطلع الى المعرفة . ولست ابغي من ورائها الا وجه الحق ومودة الاصدقاء .

فما يتصل بشرح الغريب وتفسير الغامض ما جاء في ص ٢٢ :

خرجت بها امشي تجر وراءنا   على اثرينا ذيل مرط مرحل

جاء في الشرح « حمل حبيبته بين يديه ولكنه ترك ذيل ثوبها يجر على الارض ليمحو آثار اقدامه » .

صورة بارعة للاختطاف تتفق وما رواه المؤلفان من ان امرأ القيس شاعر مغامرات !! ولكن من اين جاءت؟ ألأن الشاعر قال : خرجت بها امشي ولم يقل خرجنا نمشي مثلاً ؟ وما رأيهما في قوله : على اثرينا ولم يقل على اثري ما دام قد حملها بين يديه ! ؟ وعلى أي شيء يدل قوله : فلما اجزنا ساحة الحي ...

هصرت بفودي رأسها فتمايلت   على هضيم الكشح ريا المخلخل ؟

أترى من الممكن ان يهصر بفودي رأسها وهو يحملها بين يديه؟ ولكن لعله بعد ان اجتاز ساحة الحي تخفف من حملها واصطحبا سيراً على الاقدام !!

وفي ريا المخلخل ملاحظة اخرى فقد فسرت (ريّا) « بانها لينة حيث تلبس الخلخال عند ادنى ساقها » وهذا التفسير ضعيف بعيد عن معنى الحسن وجمال التنسيق لانه قريب من الترهل المستكره خصوصاً بالنسبة للمرأة ، ويبعده الاصل اللغوي فان الريان هو الذي شرب بعد عطش حتى اكتفى وارتوى ويقال فرس ريان الظهر اذا غلظ متناه وعكسه ظمئان الشوي اذا كان معرق القوائم وكأنه مأخوذ من النبات اذا ارتوى فقد غلظ ساقه واشتد وكذلك المرأة استوفت حظها من الاستواء وجمال التنسيق والسمن غير المستكره . ص ٣٤ :

لخولة اطلال ببرقة ثهمد   تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

قالا « كبقاء اثر الوشم على ظاهر اليد نفرت عروقها وتعرّج جلدها حينما يتقدم الانسان في السن » وهذا تصوير حسن وتخيل جميل ولكن ليس في البيت ما يشير اليه فما اراد الشاعر الا ان معالم المكان كادت تندثر فما بقي منها الا اثر ضئيل كآثار الوشم في ظاهر اليد وقد كادت تتلاشى .

ص ٣٤ ايضاً وفي الحي احوى : «أي شديد بياض العين وشديد سوادها» ، وهذا التفسير يصدق على الحور لا على الحُوّة (التي جاء منها الوصف احوى) فانها سواد الى خضرة او حمرة الى السواد ويقال شفة حواء أي حمراء مائلة الى السواد . وذهب بعض الشراح الى ان الحوة هنا يراد بها سواد مجرى الدمع فقال ظبي له خطتان من سواد وانما اراد سواد مدمع عينيه وحتى على هذا التفسير فهو غير شدة بياض العين وشدة سوادها كما قالا .

ص ٣٦ صهابية العثنون : « الشعر الذي تحت شفتها اليسرى يميل الى الحمرة » .

لعله سبق قلم فليس هناك شفة يسرى ويمنى فالعثنون هو ما نبت من اللحية على الذقن وتحته سفلا ... وهو شعرات طوال تحت حنك البعير .

ص ٤٧ :

تقد السلوقي المضاعف نسجه   وتوقد بالصفاح نار الحباحب

قالا السلوقية الدرع المنسوب الى سلوقية (ثم علامة استفهام) .

ليست النسبة الى سلوقية وانما هي الى سلوق : ارض باليمن وقيل قرية باليمن تنسب اليها الكلاب لضراوتها . قال القطامي :

معهم ضوار من سلوق كأنها   حصن تجول تجرر الارسانا

وكذلك الدروع لجودة صنعها فيقال درع سلوقي كما في بيت النابغة السابق وبذلك تسقط علامة الاستفهام ويزول العجب .

ص ٥٢ :

وكانت لهم ربعية يحذرونها   اذا خضخضت ماء السماء القبائل

فسرا البيت على هذا النحو : ربعية غزوة في الربيع !! خضخضت ماء السماء القبائل اذا بدأ الناس يستقون الماء من الآبار بعد انقطاع

المطر (علامة استفهام ؟)

لو رجع المؤلفان الى مادة (ربع ، خضخض) في اللسان لوجدا البيت بنصه في المادتين الا كلمة (القبائل) فقد جاءت (القنابل) وهي (الجماعة من الناس ومن الخيل) وقد فسر الاصمعي البيت بقوله : ربعية في اول اوقات الغزو ، وذلك في بقية من الشتاء اذا خضخضت ماء السماء القنابل (الخيل) يقول : اذا وجدت الخيل ماء في الارض ناقعاً تشربه فتقطع به الارض و كان لها صلة بالغزو (اه) فهل من محل لعلامة الاستفهام بعد هذا ؟ ص ٥٣ :

فآب مصلوه بعين جلية وغودر بالجولان حزم ونائل

قالا : مصلوه دافنوه . راجع قوله تعالى في سورة الحاقة . خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه » . لم تراجع الآية وما وجه الاستشهاد بها ؟ والمعنى بعيد عما ذهب اليه المؤلفان لان التصلية تفعيل من صلى : يقال صلى للحم صلياً اذا شواه فاذا اردت ان تلقيه في النار القاء كأنك تريد الاحراق قلت أصليته و كذلك صليته . فكل مشتقات المادة يدور حول النار والالقاء فيها . فما وجه الشبه بين هذا وبين التصلية بمعنى الدفن ؟ ما بهذا يستقيم المعنى ويصح التفسير ، وانما يستقيم لو قرىء : فآب مضلوه فيكون اسم فاعل من اضله بالضاد المعجمة لا من صلاه بالصاد المهملة فالمادة اللغوية تفيد ان : ضل الرجل : مات وصار تراباً . واضللته دفنته قال المخبل :

اضلت بنو سعد عميدها وفارسها في الدهر قيس بن عاصم

وعلى هذا يكون بيت النابغة السابق (فآب مضلوه بعين جلية) يريد رجع دافنوه بخبر صادق انه مات . واما المعنى قد وضح واستقام في غير تكلف ولا تعسف . أوليس هذا مما يزيدنا بعداً عن الرجوع الى الآية والاستشهاد بها ؟ ! ص ٥٥ :

كأن مشمولة صرفاً بريقتها من بعد رقدتها او شهد مشتار

قالا : المشتار المقطوف حديثاً ، وهذا يوهم ان مشتاراً صفة لشهد فكان ينبغي النصب تبعاً له وانما الوجه ان المشتار اسم فاعل من اشتار العسل اذا اخرجه من الوقبة (جناه من الخلية) فهي مضافة الى ما قبلها كما نظم الشاعر . ص ٥٧ :

فلما توفى العقل الا اقله وجارت به نفس عن الخير جائره

قالا : توفي العقل : خسره (وعلامة استفهام)

الامر ايسر من هذا ولا اشكال فيه مع شيء من التدبر والتروي فان توفى ليس معناها خسر وانما هي بمعنى : استوفى . والعقل الدية من عقل القتيل اذا وداه (ادى ديته) . فيكون المراد : فلما استوفى دية اخيه الا اقلها واصبح ذا مال تذكر الثأر الخ . . وبذلك يزول العجب ولا نخسر العقل والعياذ بالله . . !

ص ٥٨ وقفت فيها اصيلاً . . .

قالا : الاصيل : العصر ، منتصف الوقت بين الظهر والمغرب وانما الاصيل : العشي ، قال تعالى يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال . وقد يراد به ما بعد العصر فهو آخر النهار لا وسطه على كل حال . ص ٧٠ :

جعلن القنان عن يمين وحزنه وكم بالقنان من محل ومحرم

قالا : حزنه : قطعنه ، وفي جميع الروايات (حزنه) يعني سهله ولكنه بعيد عن المعقول (كذا) ! ! ما البعيد عن المعقول ؟ أهو الاجماع على ان الكلمة اسم من الحزونة أم هو تفسير الحزن بالسهل (على رأيها) فعدلا عنه الى جاز يجوز لانها معقولة ؟ لا ليس الاجماع بعيداً عن المعقول والكلمة هي الحزن بمعنى ما غلظ من الارض لا بمعنى السهل (كما شرحاها واستبعداها) . والبيت وما بعده تصوير طبعي يبين دقة زهير في الوصف وحرصه على رسم الصور المادية المحسوسة وهو معقول ايضاً فقد سار الركب عن يمين القنان وما جاوره من مرتفعات صعبة ثم ظهر من السوبان الخ . . فاين هذا من تفسير الحزن بالسهل ؟ لقد ورد في الاثر : اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلاً وانت تجعل الحزن اذا شئت سهلا . . !!

ومما نحن بسبيله ص ٥ :

وكانوا (اي العرب) يستقسمون بالازلام (يلعبون القمار) كذا ! وتفسير الاستقسام بالازلام بلعب القمار خطأ انما ذلك هو الميسر الذي ورد ذكره مع الازلام في قوله تعالى : انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس . ولا يجوز ان يكون مدلولها واحداً والا كان تكراراً معيباً .

وانما هو (كما قالوا) محاولة تعرف قسمتهم وحظهم بقداح او سهام (قطع من خشب بهيئة السهم لا نصل له ولا ريش فيه) وكانت الازلام ثلاثة (على بعض الروايات) كتب على احدها امرني ربي والثاني نهاني ربي والثالث غفل لاشيء عليه فاذا اراد احدهم سفراً او غزواً او بيعاً اجال هذه الازلام فان خرج له الزلم المكتوب عليه امرني ربي مضى وان خرج نهاني ربي امسك عن ذلك ولم يمض فيه وان خرج الغفل الذي لا كتاب عليه اعاد الاستقسام . . .

أيصح ان نفسر هذا بلعب القمار ؟ طبعاً . . لا .

ص ١٢ يأتي الشاعر فيقف على طلل الخيمة (وتفسر) بالمكان الذي كانت الخيمة منصوبة فيه (كذا) . من قال ان للخيمة طللاً حتى يفسر بالمكان المنصوبة فيه ؟ لقد قالوا ان الطلل هو

الشاخص من آثار الديار ، واظن ان الحبيبة كانت ترحل في صحبة قومها وجماعتهـــا فلا بد ان تكون لهم آثار حيث ينزلون وبعد ان يرحلوا ، أليسوا يوقدون ناراً ويضعون اثافي للقدور ويحفرون نؤياً حول الخيـــام ويدقون اوتاداً . . . لا شك في ذلك ولا بد ان تكون لهاآثار ظاهرة ولو يسيراًبعد الرحيل، فهذهي أليس كذلك؟

وبعد هذا انتقل الى بيان بعض ما بدا من تناقض او اضطراب في الفكرة او خطـأ في التصور ففي ص ٧ : « عكاظ وهي سوق . . تجتمع قبائل العرب فيها فيتماكظون اي يتفاخرون . . . ان الشعراء الناشئين كانوا يتبارون في عكاظ امام فحول الشعر فمن حكم له اختيرت قصيدته وعلقت . . . ويلاحظ ان هـــذه المعلقات موزعة بين القبائل بشيء من الانصاف ويبدو لنا ان اختيار المعلقة في سوق عكاظ كان تبعاً لنفوذ القبيلة السياسي في الزمن الذي اختيرت فيه . . . »

فما هذا التناقض ؟ اصحيح ان الشعراء الناشئين هم الذين كانوا يتبارون في عكاظ ومن اختيرت قصيدته علقت ؟ فهذه المعلقات هي لشعراء الشباب الفائزين في المباراة ! ! ثم كيف يتفق هذا القول وتوزيعها بشيء من الانصاف بين القبائل ؟ وهذا ينفي فكرة المباراة والتحكيم من اساسها . واذا كان الاختيار خضع لنفوذ القبيلة في الزمن الذي اختيرت فيه ، فهـــل تعاقبت قبائل شعراء المعلقات النفوذ السياسي فجوملت كل واحدة بمعلقة شاعر ؟ ومتى كان ؟ وممن حصلت المجاملة ؟ لا ادري ! ؟

ومع ذلك فهل من سند للمؤلفين من التاريخ او الاخبـــار الادبية ؟ لا اظن !!

فاما المفاخرة في عكاظ فالثابت انها لم تكن بين الناشئين ، فما بهم تتفاخر القبائل وتتعاكظ وانما (بمن نبغ منها وجاءت القبائل فهنأتها) كما يقول المؤلفان وهذا معقول فالمباراة بين الناشئين تكون (محلية) ومن نبغ منهم يدخل المباراة (الدولية) !! أليس كذلك؟

واما تعليق المعلقات ومتى كان (لو كان) فاحب ان اعتقد ان المؤلفين قد اطلعا على رأي القدامى والمحدثين وعرفا خلافهم ولعلهما قرأا (قول المؤيدين) ان العرب عمدت الى سبع قصائد من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب . . . وعلقتها . . . واظنهما اطلعا على رأي المخالفين القائلين انهـــا جمعت في العصر العباسي . والحديث يطول . . . فاين نحن مما ذهبا اليه واوله ينقض آخره ؟ ؟

ص ٨ من خصائص الشعر الجاهلي : الصدق وهو « ان يعبر الشاعر عما يشعر به حقيقة مما يختلج في نفسه والا يتكلف في ايراده بصرف النظر عما اذا كانت الحوادث التي يذكرها قد وقعت او لم تقع . . ان الابيات التي تصف دارة جلجل صادقة تعبر عن نفس امرىء القيس وما يتمناه في لهوه مع ان الحادثة نفسها قد تكون مختلقة . . فليس من الضروري ان يكون قول عمرو بن كلثوم :

ملأنا البحر حتى ضاق عنا ... وماء البحر نملؤه سفينا

صحيحاً ، ونحن نعلم انه غير صحيح ، ولكن المهم انه كان يشعر هذا الشعور فجاء بيته صادقاً في التعبير عن شعوره هو » اه

وكذلك اطلنا الاقتباس لنستطيع تصور الصدق وتصويره على نحو ما اراد المؤلفان . لقد قيل انصدق الخبر مطابقته للواقع وذهب البعض الى ان صدقه مطابقته لاعتقاد المخبر ولو خطأ وقال آخر ان صدق الخبر مطابقته للواقع مع اعتقاد المطابقة .

هذه خلاصة الاراء . فما موقف المؤلفين من الصدق ؟

يبدو الاضطراب في تصويرهما له من تعليقهما على ابيات امرىء القيس التي تصف دارة جلجل .

فكيف تكون ابيات امرىء القيس صادقة والحادثة مختلقة ؟ وما معنى تعبيرهما عن نفسه او عما يتمناه وهو يروي واقعة (صادقة او كاذبة) ! ؟ واين صدق الشعور من صدق التمني ؟ أشعر بان شيئاً حصل ولو في الوهم فهو صادق في شعوره وتصويره ؟ ام شعر بانه يتمنى فهو صادق في التعبير عن هذه الاماني ؟

ان الابيات لا تفيدهما شيئاً . . . والقصة اما حقيقية ، فيكون صادقاً واما مختلقة فهي من خيال الشعراء وهو ليس من الصدق في شيء (وان كان المؤلفان قد سلما بصحة القصة في موضع آخر ! !

وقالا عن بيت عمرو بن كلثوم السابق « نحن نعلم انه غير صحيح ولكن المهم انه شعر هذا الشعور فجـــاء بيته صادقاً في التعبير عن شعوره » !! بمَ شعر يا ترى ؟ أبأن قومه ملئوا البر والبحر فهو صادق ؟ أكان ذلك شعوراً او توهماً ؟ أم هو من مبالغات الشعراء التي لا تمت الى الصدق بصلة ؟

اخشى ان اقول ان المؤلفين لم يوفقا فيما ذهبـــا اليه من رأي طريف .

ص ١١ الخصائص اللفظية منها الجزالة . . ومتانة التركيب وبلاغة الاداء . . . فالكلمة الجزلة هي « التي تقع في موقعها وتدل على المعنى المقصود بها من غير استعانة بالفاظ أخر نحو قلت بكسر القاف ومعناها نمت بعد الظهر فكلمة قلت في هذا الموضع جزلة !! (اي موضع ؟؟ ولعلهما ارادا بالكلمة جملة قلت) . اما كلمة نمت بعد الظهر فليست جزلة لانها لم تؤد المعنى الذي قصدناه الا

بعد أن زدنا عليها كلمتين اخريين .

وفي ص ٦٧ ان الفاظ زهير (كانت جزلة يقصد بذلك انها تقع في مواقعها الصحيحة المخصوصة (كذا) .

هذه هي الجزالة كما يراها المؤلفان واعتقد انهما قد ابعدا .

ففي اللغة الجزل : الحطب اليابس او الغليظ العظيم منه .. ومن الالفاظ الفصيح المتين وخلاف الركيك .

وجاء في كتاب الطراز لامير المؤمنين يحيى بن حمزه العلوي اليمني : من المحسنات اللفظية (ان يكون اللفظ مختصاً بالجزالة والرقة ولسنا نعني بالجزالة في الكلام ان يكون وحشياً غاية في الغرابة ... ولكن المقصود بالجزالة ان يكون مستعملا في قوارع الوعيد ومهولات الزجر وانواع التهديد) ثم يستشهد لذلك بآيات واحاديث ويقول : « فانظروا الى هذا الكلام مـا اجزله واوضحه لبيان ما اشتمل عليه وتناوله ... وله (ص) في الوعظ من الفخامة والجزالة كلام بالغ » . هذا رأي البلاغيين في الجزالة .

ولو نظرنا الى رأي الادباء في البلاغة لوجدنا ان الجزالة ترادف الفخامة كما ذهب بشر بن المعتمر وتتفق والرصانة على رأي ابي هلال العسكري .

ألا يفهم مما تقدم معنى الجزالة وانها تفيد قوة في اللفظ وفخامة في التعبير ودقة في البيان مع الوضوح في الدلالة عن المراد ولا تكون الا في جملة متينة التركيب فاين هذا من جزالة (رقلت) بمعنى نمت بعد الظهر ؟ وهل تعرف الكلمة الجزلة بانها التي تدل على المعنى المقصود بها من غير استعانة بالفاظ أخر ؟ لا اظن ...

كذلك قالا : « التركيب في الشعر الجاهلي متين اي صحيح يجري على قواعد اللغة ... وكذلك تراكيبه بليغة اي تؤدي المعاني المقصودة منها في الاحوال المناسبة اما حقيقة واما مجازاً بتشابيه واستعارات وكنايات تفصح عن المعاني » .

وفي ص ٣١ « ان كلام طرفة كثير المتانة الى حد التعقيد احياناً » !!

وهنا نلاحظ ان بلاغة العبـارة لا تكون بصحتها فقط بل بمتانتها وقوتها في الدلالة على المعنى المراد وليس كل صحيح متيناً والعكس صحيح . فالمتانة درجة حسن (وقوة في التعبير والتركيب) ولكنها لا (تبلغ حد التعقيد) كما قالا عن كلام طرفة .

وهل يصح ان يوصف الكلام بالتعقيد اذا بلغ من المتانة حداً كبيراً ؟ لا اظن . أرأيت كيف ينقض آخر الكلام اوله ؟

كذلك قالا : (واما مجازاً بتشابيه واستعارات وكنايات) ولم يقل احد ولم يرد في كتاب من كتب البلاغة ان التشبيه والكناية من المجاز . وهاك كتاب نهاية الايجاز في دلالة الاعجاز للامام فخر الدين الرازي يثبت العكس صراحة :

فقد جاء في ص ٧٧ « ان التشبيه ليس من المجاز لانه معنى من المعاني وله حروف والفاظ تدل عليه فاذا صرح بذكر الالفاظ الدالة عليه وضعاً كان الكلام حقيقة فاذا قلت زيد كالاسد ... لم يكن منك نقل للفظ عن موضوعه فلا يكون مجازاً »

وفي ص ١٠٣ « في ان الكناية ليست من المجاز » ان الكناية عبارة عن ان تذكر لفظة وتفيد بمعناها معنىً ثانياً معتبراً فما نقلت اللفظة عن موضوعها فلا يكون مجازاً مثاله اذا قلت كثير الرماد فانت تريد ان تجعل حقيقة كثرة الرماد دليلاً على كونه جواداً فانت قد استعملت هذه الالفاظ في معانيها الاصلية ولكن غرضك في افادة كثرة الرمـاد معنىً ثان يلزم الاول وهو الجود واذا وجب في الكناية اعتبار معانيها الاصلية لم تكن مجازاً . اه فما الرأي؟

ص ١٣ « النسيب والغزل كلاهما كان يدور حول المرأة ويجري في لفظ مؤنث ولكن اتفق ان تغزل طرفة بأنثى ولكن في لفظ مذكر فقال : وفي الحي احوى ينفض المرد شادن ، الا ان هذا نادر والمقصود به انثى لا شك في ذلك » وفي ص ٣٣ « وطرفة من اقدم الشعراء الذين كان عندهم الغزل المؤنث بلفظ المذكر ». أصحيح هذا؟ الواقع ان طرفة لم يتغزل في انثى بلفظ مذكر ولا يفيد قوله (وفي الحي احوى ..) شيئاً من هذا . فما زاد الشاعر على انشبه الحبيبة بظبي شادن ينفض المرد وعلى ان شبهها بالبقرة الوحشية في بيت ثان (خذول تراعي ربربا بخميلة) فهل يقال ايضاً ان الخذول التي تراعي الربرب هي المرأة ؟ ما اظن ! ! وامثال هذا كثير في الشعر العربي ولم يقل احد انه غزل في انثى بلفظ مذكر .

وفي ص١٥ « ويذكرون ان اباه طرده (اي امرأ القيس) .. لانه كان ميالا الى القصف والفسق على ان اهتمامه فيما بعد بأخذ ثأر ابيه ينفي ان يكون امرؤ القيس خليعاً ماجناً فاسقاً كما تصوره الروايات الادبية » . ونلاحظ ان المؤلفين حرصاً على ان ينفيا عن امرىء القيس الخلاعة والمجون ودليلهما اهتمام الشاعر بالمطالبة بثأر ابيه !! فهل ثبت المؤلفان على هذا الرأي ؟ لا .. فقد نقضاه فيما بعد بتقريرهما (ان شعره ملىء بالمغامرات ... وان المغامرات الكبرى تظل حية في نفوس الاجيال ص ١٨) فهو شاعر مغامر اذاً !! ثم نقضاه برواية قصة امرىء القيس ويوم دارة جلجل وحكاية اكراه العذارى ان يظهرن امامـه عاريات ... (من غير تعليق) أليس

هذا مجوناً وفسقاً ؟ ثم برواياتها الشعر الذي يصور قصة الفسق والمجون من غير التعرض لها بملاحظة او تعليق يفيد الشك على الاقل ..

فنحن بين اثنتين فاما ان تكون القصة والشعر الذي يصور الواقعة غير صحيحين فيستقيم نفي الخلاعة عن الشاعر واما ان يكون ما روي صحيحاً (وهو صحيح عندهما) فامرؤ القيس خليع ماجن . فما رأي المؤلفين في هذا التناقض ؟

والذي نراه الا تعارض بين الخلاعة والمجون وبين اهتمام المرء بأخذ الثأر من واتره والحياة الانسانية حافلة بامثال هذه المآسي .

وفي ص ٤٥ (ولا ريب ان المدح فن حضري لا بدوي لان عزة البدوي تأبى عليه التكسب بالمديح الا اذا تحضر .. او كان حضرياً ..) . اعتقد ان هناك فرقاً بين فعل الشيء وبين الباعث عليه . فاما ان البدوي عزيز النفس يأبى التكسب بالمديح فجائز واما ان المديح فن حضري لا بدوي فلا نسلم به فانه من طبيعة النفس الانسانية اعجبت بشيء او بشخص فهي تثني عليه بما يستحق لانه جدير بالمنح والحضري والبدوي في ذلك سواء لانها بشر .. ومع ذلك فهل كان زهير حضرياً او متحضراً حين مدح هرماً والحارث وكان صادقاً في مدحه كما قالوا ؟ اظن انه لم يكن واحداً منهما . ومـا اكثر الشعراء الذين مدحوا ولم يكونوا حضريين ولا متحضرين .

في ص ٣٤ (المقاييس الخلقية والحكم عند طرفة وزهير) « ولعل اعظم حكم طرفة اراؤه في الاخلاق تلك التي تقرب من ان تكون فلسفة . لقد فصل طرفة بين اسلوب الحيـاة وبين الاخلاق اذ الاخلاق عنده مبـدأ اجتماعي ينحو نحو حسن معاملة الناس اما افعال الانسان واعماله كالسكر مثلاً . فامور شخصية بحت يعود نفعها وضررها على صاحبها (و في ص ٦٨) « وبينما كنت ترى ان حكم طرفة كانت حكماً شخصية ذات طابع خاص بها يمثل آلامه في الحياة وتعبر عن رأيه هو فيهـا بصرف النظر عما يقبله المجتمع او لا يقبله (أهذه فلسفة ؟) كنت ترى حكم زهير عامة لا اثر للطابع الشخصي فيها اللهم الا فضل التعبير عنها وذلك لانها مستوحاة من الحيـاة الاجتماعية ومن اختبارات البشر في حياتهم المتطاولة » .

لست فيلسوفاً ولا متفلسفاً فادرك عمق ما ذهب اليه المؤلفان من رأي ولكنا تعلمنا ان الاخلاق انما تحكم على تصرفات الشخص واعماله بالحسن والقبح وفق المقاييس المتواضع عليها وان الفرد عضو في المجتمع الذي يعيش فيـه وانه كذلك مسئول عن تصرفاته الشخصية حتى قالوا انك اذا القيت بثروتك في البحر فانت بنجوة من حكم القانون وعقابه ولكنك لست بنجاة من حكم الاخلاق وحسابها .. فما هذا الفصل بين اسلوب الحياة وبين الاخلاق الذي ارتآه المؤلفان مذهباً لطرفة يميزه من زهير ويكاد يكون فلسفة؟ ثم اي المقاييس والاحكام ادق واضبط ؟ أهـذا الذي يستمده الشخص من تجاربه الخاصة (فقط) ويعبر عن رأيه هو خطأ ام صواباً ، ام هذا الذي يفيده من تجاربه وتجـارب الناس (ومن اختبارات البشر في حياتهم المتطاولة) فهو يستنبط من كل ذلك حكماً عاماً وقاعدة شاملة او قريبة من الشمول ؟

ألست معي في ان الاستقراء (كما يقولون) يساعد على الدقة في الحكم عند الاستنباط ويكون اهدى واصدق في النظر ؟ لعل هذا مما لا يختلف فيه اثنان .

بقيت ملاحظات موضوعية يضيق المقام عن ذكرها ، فلانصرف عنها الى بعض الاخطاء النحوية ، فمن ذلك في : ص ٩ كان الشعر الجاهلي شعر انشادي (غنائي) ، (والصواب شعراً انشادياً غنائياً) . ص ١٦ وكان ابوهما حجرا قد ولاهما (ليس الخبر حجرا وانما هو الجملة التالية) . ص ٢٩ ولعل اسم اباه الكامل (الصواب ابيه بالاضافة) وفي ص ٣٥ كأن تخذيهـا جانبي باب والصواب جانبا (بالرفع) . ص ٣٠ وزعم قوم ان طرفة قتل وعمره عشرون سنة ومنهم قد زعم انه قتل وعمره ستة وعشرون .. في هذه العبارة ملاحظتان الاولى تأنيث العدد ستة (ستة وعشرون) والسياق يفرض التذكير فيكون (ستاً) لان المعدود (التمييز) مؤنث هو سنة او حجة ولا عبرة بعدم ذكره فالسياق يقتضيه فصدر العبارة فيه (عشرون سنة) وفي ختامها (عددنا له ستا وعشرين حجة) وعلى هذا تجب المخالفة فيكون المعدود مذكراً (ستاً) .

والثانية : ان التعبير (منهم قد زعم) بعد (وزعم قوم) ضعيف من جهة الصنعة والمعنى فان (منهم قد زعم) لا تصلح جملة اسمية لانعدام المبتدأ فهي فعلية تقدم عليهـا الجار والمجرور المتعلق بفعلها المتأخر المؤكد بقد من غير مقتض وفاعلهـا مستتر يعود على قوم السابقة وبما ان من تفيد التبعيض وهم يعود على قوم التي تفيد الجنس فكأن الزاعمين اخيراً هم بعض الزاعمين اولا وهو ما لم يرده المؤلفان لان فيه عدولا عن الرأي الاول وفيه اضعاف المعنى وليس من شك انهما ارادا ان فريقاً زعم كذا وآخر زعم غيره .. أليس كذلك ؟

وبعد فهذا بعض ما رأيت ان اعلق به على ما جاء في الكتاب

من ملاحظات واني حين اتقدم الى المؤلفين الفاضلين برجاء تصحيح هذا وغيره في الطبعة الثانية ، اشكر لهما ما بذلا من جهد في تأليفه وماحرصا عليه من (تحر للدقة واخلاص للبحث العلمي) لا ينتقص من قدره ما عرضنا له بالمناقشة في هذا المقال .

عبد العزيز احمد
مدير كلية فاروق الاول في بيروت
المنتدب من وزارة المعارف المصرية

وحي الرافدين

للاستاذ محمد علي الحوماني – ٤٠٥ صفحة – مطبعة الكشاف بيروت

الحوماني، عرفناه شاعراً وشاعراً مجنح الروى في غير ماديوان، وعرفناه ناثراً وناثراً انيق البيان في غير كتاب .

وفي هذا الكتاب يطالعنا بناحية جديدة من نواحي نفسه الخصبة ، وهي التجويد في « كتابة الحلى » كما درج القدامى على التعبير عنها . وهم يعنون بهـا تناول الاشخاص بالوصف الدقيق ، حتى لتكاد تنظرهم او تطالعهم من قريب .

وغير الجاحظ وهو ابرز كتاب هـذا النوع ، فكلنا يعرف كيف كان يحكي لنا الشخص حكاية ، ولكنه يدنيه الينا بلحمه ودمه ويعقد بيننا وبينه صلة الحياة فيعايشنا او نعايشه .

ولقد بلغ من عنايتهم بهذا النوع ، ان امثـال النجيرمي – اللغوي الكبير في عهد الاخشيدي – افردوا لكتابة الحلى قواميس تعين على التصرف في جنباتها .

وهؤلاء القدامى انصرفوا الى تناول الشخص في حلاه الحسية، فرسموه رسماً . ولكن صاحبنا الحوماني انصرف الى تناول الشخصية في اعمق خطوطها وحلاها المعنوية ، فانطقها بما تشعر وتفكر به . انطقها في شكل من الوضوح يجعلها قريبة منك حتى لكأنك في نجوى معها ، تمدك هي او يمدك هو من ورائها بادق خلجات الفكر واحاسيس النفس . وانك لتحس وانت ترافقه وتسير معه ، انه نقل اليك جو العراق الفكري بالوانه التي آلفهـا ، ثم آلف بينك وبينها في اغراء كبير .

والمؤلف يعرض كل هـذا ويفيض به في لغة شاعرة ، جميلة الايقـاع عميقة القرار . ولا يفوته ان يستدني خلال ذلك ، اعقد مشاكل الاجتماع العربي ص ٦ – ١٦ والفكر ص ٢٤ – ٣٠ والدين والحياة والادب والعمران ، فيحلل طبيعتها واسبابها ويضع بين يديك سبيل معالجتها ، فيصيب من النجح وكثيراً ما ينجح .

وما كنت احسب الحوماني – وحظه الادبي كبير – انه ايضاً بهذا الحظ من الفكر التحليلي النظري .

ألست تعجب حقاً حين يأخـذ بك في بحث ، تجد نفسك في نهايته مقتنعاً معه : بان الفوضى نظام لا نصل الى كنهه ، كما ان القبح جمال غفلنا عن ادراكه . وانما اطلقنا لفظ القبح لنقابل به الجمال المصطلح عليه ، ووصفنـا النظام الخفي بالفوضى لنقابل به النظام البين . . وحين يحدثك عن الفن فينتهي بك الى : ان الفنان اذ يبدع لحناً او شعراً يستهوينا به ، فانما يشير به الى لحن وفكر اوسع قائمين في قلب الطبيعة لا يحدهما الفكر الانساني ولا يحيط بها ادراكه ، وانما يتطبع فيه ذلك الفكر القائم في قلب الطبيعة مصغراً . . الى نتائج كثيرة غيرها ، اشتركت بصفة الفكر ودقة التقدير .

واخيراً لست اكتم اعجابي بمـا استوى على قلم المؤلف ، من تطويع اساوب المنطق الاتباعي (كلاسيك) ، لقضايا الفكر الحديث على تشعبها وتنوعها .

عبدالله العلايلي

محمود تيمور رائد القصة العربية

للاستاذ نزيه الحكيم – ١١٢ صفحة مطبعة النيل القاهرة

هذه الدراسة التحليلية العميقة بقلم نزيه الحكيم تشكل الحلقة الاولى من سلسلة ادبية ما يزال تاريخنا الادبي الحديث مفتقراً اليها كل الافتقار فان الادب الحديث في البلاد العربية لم يدرس حتى الان دراسة جديرة بالتقدير . وقصارى ما حاول النقاد والدارسون فعله ، هو ان يلموا بصورة سريعة جداً ، كخفقة جناح طـائر ، بالاشارة الى بعض الاتجاهات الفكرية ، في بعض حقول الادب .

ولن يكون ثمة مبالغة في القول بان هذا الكتاب « محمود تيمور : رائد القصة العربية » هو الاول من نوعه ، من حيث سعة اطلاع المؤلف على المؤلف عنه ، وعمق دراسته اياه ، وبلوغ غاية بعيدة من التوفيق في تسجيل اتجاهات القصاص الاول في الادب العربي الحديث . وليس قصد المؤلف مجرّد الدراسة فحسب، وانما هي دراسة محمود تيمور كمثال يصلح اتخاذه للدلالة على عقم التشاؤم الذي يتخذه البعض من مستقبل الادب العربي ، وممكنات الاديب الحق للعمل على انشاء ادب خالق » .

وقد بدأ المؤلف بالتأكيد بان « الاتجاه الادبي لدى تيمور ليس نزوة نفسية او خاطرة من هوى لا تلبث ان تزول ، بل هو ميل عميق ثابت الجذور » ثم اخذ يسجل الينابيع التي استقى منها هذا

الكاتب « الذي وسع الآفاق في وجه القصة العربيـــة ، والذي يعدّ خالق التصوير الواقعي للحيـــاة الاجتماعية » فذكر اخاه محمداً وجبران والمنفلوطي وموباسان وغيرهم . وفي فصل ثان « رسالة الاديب » عرض المؤلف مفهوم الادب والفن لدى تيمور ، وذكر ان سمته الاولى هي حبه للخير وتجنبه الاذى والعنف » . ويتناول في الفصل الثالث الوان الحياة الادبية لدى تيمور ، وغاية الفن كما يفهمهـــا ، ويرى انه يجد في القصة « مجالا لاصلاح نفس الفرد في ميولها المكتومة ونزعاتها الخاصة ، كما يتكون من تلاقي الافراد الذين صلحوا مجتمع اكمل » ، ويقرر المؤلف ان تيمور « اديب لا مذهب له » ثم يصف اتجاهاته من « الواقعية الى التحليلية » — ثم انتهائه عند الاسطورة — ومن الاقليمية الى القومية ، ثم اخيراً من القصة الى المسرح . ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن اسلوب تيمور وتطوره ، ثم عن عالمه وابطاله ، وميزات هؤلاء الابطال . وتكون خاتمة الكتاب استنتاجاً ملخصه « ان تيمور ليس احد العباقرة في الادب ، اولئك الذين يكتشفون في الافق البكر ما لا تراه فيه العيون » لكن حسبه ليكون اجدر بالدراسة ممن هم في صفه من الكتاب العرب ، انه كان هنا فاتح ابواب ومعبد طرق » و « انه خطوة اولى هامة في طريق الامة العربية نحو خلق ادبها الكامل » .

ولا شك ان قارىء الكتاب يشعر بان المؤلف لم يدّخر جهداً في مطالعة جميع آثار تيمور مطالعة دقيقة تنطوي على رغبة الدراسة العميقة ، وانه تتبع تطور القصة لديه بصورة منطقية . ولكن لا بد لنا ان نلاحظ ان هذه الرغبة المنطقية في جعل كل شيء طبيعياً ، لدى تيمور تحتوي على بعض التعسف والتكلف . فان انتقـــال تيمور من الواقعيـــة الى التحليلية طبيعي ، ومن التحليلية الى الاسطورة ، ومن الاقليمية الى القومية الخ . . كل ذلك طبيعي ، كما يقول المؤلف . اقول ان في ذلك بعض التكلف لان التعاليل التي كان يفسر بهـــا هذه « الطبيعة » كانت احياناً غير موفقة ، واحياناً اخرى واهنة . فهو يقول مثلاً : ملّ تيمور جفاف الواقع الذي عالجه خلال عشر سنوات فعمد الى تزويقه بالخيال حتى اصبح هذا الخيال في كثير من الاحايين مادته الاساسية » فاظن ألا حاجة للاشارة الى ان هذا التعليل للانتقال من الواقعية الى الاسطورة ، ضعيف ان لم يكن واهياً . . . وكذلك القول في تعليله طبيعة الانتقال من القصة الى المسرح . ثم ان القارىء يشعر ان من همّ الكاتب ان يضع بين هذه المراحل التنقلية في قصة تيمور حواجز لا تخرق ، فقدبدأ تيمور طوراً اولبالواقعية ، وطوراً ثانياًبالتحليلية ، وثالثاً بالاسطورة . . ونحن نعتقد ان في ذلك خطأ ، فقد يجوز ان « تتداخل » هذه الاطوار « Coexister » وكذلك كان الواقع لدى تيمور ، فان الواقعية والتحليلية تتزجان في جلّ اقاصيصه ، ولسنا اقل اعتقاداً بان اكثر القصص حظاً بالنجاح والخلود هي : القصص التي تضم العنصرين جميعاً .

ولا ندري اذا كانت الرغبة نفسها بوصف انتقال تيمور من التحليلية الى الاسطورة بالطبيعة هي التي ولّدت لدى المؤلف هذه النظرية عن الاسطورة : « انها (اي الاسطورة) المثل الاعلى لادب الجيل الذي يولد اليوم » ومهما يكن من امر ، فهي نظرية تحتاج الى نقاش يضيق به المقام الان .

ولا شك في ان كلام المؤلف عن اسلوب تيمور كان ضئيلاً بالنسبة لسائر نواحي الفن . فهو لم يكد يذكر شيئاً عن تقوّي هذا الاسلوب سواءً من حيث الهيكل القصصي ام من حيث اعتناء لغته بالمفردات الرقيقة ، وخيـــاله بالصور الموفقة الخ . . . ويقرر الاستاذ الحكيم ان « ليس لتيمور اسلوب خاص » وهذا واقع لا يحتمل النقاش . ولكنه يخفق في تعليل ذلك . . الخطأ نفسه ! . . . فهو يعزو هـــذا الى كثرة المطالعة لدى تيمور ، والى ان امتزاج مطالعاته الجمة تنال في كل فترة من حياته نصيبها من خلق لون من الادب . . وهو رأي ضعيف الى حد . فليس تيمور باكثر مطالعة من طه حسين وتوفيق الحكيم وعباس العقاد وغيرهم ممن يمتازون باساليب خاصة .

هذه بعض ملاحظات نعتقد انها لا تنتقص من قدر هذا المؤلف القيم الذي يشكل دراسة قيمة مفيدة تعد الاولى من نوعهـــا في تأريخ ادبنا الحديث .

سهيل ادريس

ابو العلاء المعري

للاب يوحنا فاخوري البولسي — ٦٠ صفحة

من منشورات مجلة « المسرة »

هي دراسة تحليلية لفلسفة المعري بمناسبة مرور عشرة قرون على ميـــلاده . وهي تتناول حياته ووصفه وآثاره وفلسفته او بالاحرى تفكيره لان المؤلف يعتقد ان ابا العلاء مفكر لا فيلسوف . وقد نهج على طريقة الدراسة المتسلسلة لكل مـــا يعني المعري . والكتاب بالاجمـــال كتاب مدرسي يفيد طلاب الفلسفة الذين يعملون للشهادة الحكومية .

مجمل الاحداث السياسية والحربية في شهر

كانون الثاني ١٩٤٥

١ – الملك جورج الثاني ملك اليونان ، بطريرك اثينا دامسكينوس وصياً على العرش اليوناني . وقد قدم باباندريو استقالته من رئاسة الوزارة اليونانية .

٢ – شنت القوات الالمانية في السار سلسلة من الهجمات المعاكسة على مراكز الجيش الاميركي السابع .

٣ – قرر المجلس الوطني التركي الكبير قطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية بين تركيا واليابان ابتداء من منتصف ليل ٦ كانون الثاني . وقد اتخذ القرار بالاجماع نزولا عند رغبة روسيا وانكلترا .

لا تزال معركة بودابست بالغة اقصى حدود العنف . وقد تحولت المدينة الى اتون من النيران تخيم في سمائها سحب كثيفة من الدخان .

٤ – ألف الجنرال بلاستيراس الوزارة اليونانية الجديدة .

عقد في القاهرة مؤتمر لمكافحة الجراد وقد اشتركت فيه دول الشرق الاوسط .

٥ – زار المستر تشرشل فرنسا وتداول مع الجنرال ايزنهاور والمارشال مونتغمري والجنرال ديغول .

عين المرشال مونتغمري قائداً عاماً لجميع قوات الحلفاء شمالي نتوء الالمان في بلجكا . وعين الجنرال برادلي قائداً عاماً في جنوب النتوء .

لا يزال القتال مستمراً في اثينا بين الحلفاء وقوات ايلاس .

أعلنت الحكومة السوفياتية رسمياً انها قررت الاعتراف بلجنة « لوبلين » الوطنية كحكومة موقتة لبولونيا .

٦ – يتطور الهجوم المعاكس الذي تقوم به قوات مونتغمري شمالي نتوء الاردين وتشتبك القوات البريطانية والاميركية ، اشتباكاً عظيماً في القتال الذي يدور من اجل السيطرة على المرتفعات المشرفة على «لاروش» .

٨ – دخلت سبعون بارجة اميركية بينها دوارع ثقيلة وحاملات طائرات الى خليج لانغاين غرب جزيرة لوزون في الفيليبين وضربت المنشآت الساحلية ، تحت مظلة واسعة من الطائرات .

٩ – اعترفت حكومة موسكو بلجنة لوبلين التحريرية حكومة موقتة للجمهورية البولونية . ولا تزال بريطانيا والولايات المتحدة تعترفان بلجنة لندن حكومة موقتة لبولونيا .

١٠ – تألفت وزارة لبنان الجديدة على الشكل التالي : عبد الحميد كرامه للرئاسة والمالية والدفاع الوطني .

نقولا غصن : لنيابة الرئاسة ، والبرق والبريد والصناعة والتجارة .

سليم تقلا : للعدلية والخارجية .

احمد الاسعد : للاشغال العامة والصحة والاسعاف العام .

وديع نعيم : للداخلية والتربية الوطنية .

جميل تلحوق : للتموين والزراعة .

١١ – توفي في بيروت المرحوم سليم تقلا وزير العدلية والخارجية

١٢ – وقعت شروط الهدنة بين الجنرال سكوبي وقوات « ايلاس » في اليونان . وتنص هذه الشروط على وقف القتال ، وعلى انسحاب قوات ايلاس مائة ميل الى الغرب من اثينا الى شمالها الشرقي ، وعلى تخلي « ايلاس » عن سالونيك وعن الجزر ، وعلى اطلاق جميع الاسرى البريطانيين .

١٣ – عين السيد هنري فرعون وزيراً للخارجية والعدلية في لبنان في المكان الذي شغر بوفاة المرحوم سليم تقلا .

بلغت معارك بودابست اقصى درجات العنف .

استأنفت الولايات المتحدة علاقاتها مع فنلندا على اساس غير رسمي .

١٦ – قدم الدكتور احمد ماهر باشا استقالته من رئاسة الوزارة ، ثم كلفه جلالة الملك فاروق بتأليفها ، فألفها من الوزراء السابقين باستثناء الدكتور محمد حسين هيكل باشا الذي عين رئيساً لمجلس الشيوخ ، وباضافة عبد الرزاق السنهوري للمعارف وحفني محمود للتجارة .

دخل الجيش الروسي مدينة شولسبرغ في بروسيا الشرقية ومدينة كيلش التي تقع على بعد ٦٠ ميلًا الى شمالي شرقي كراكاو .

١٧ – دخل الجيش الاميركي الاول مدينة هوفاليز في بلجيكا .

١٨ – دخلت قوات المرشال جوكوف الى فرصوفيا بعد ان طوقتها تطويقاً كاملا . وقد دخلت في نفس اليوم لجنة لوبلين ، وهي الحكومة البولونية الموقتة الى عاصمة بولونيا .

احتل الروس مدينة مودلن شمالي الفستولا وغربي فرصوفيا .

٢١ – احتل الروس في بروسيا الشرقية مدينة انستربورغ وهي تقع على ٦٠ كيلو متراً داخل حدود بروسيا وكذلك احتلوا ألنشتاين .

٢٦ – احتلت القوات الروسية مدينة كاليتش القاعدة الالمانية التي تحمي المسالك المؤدية الى بريسلو في سيليزيا .

احتلت قوات كونياف الروسية مدينة اوبلن عاصمة سيليزيا العليا .

احتلت قوات روكوزوفسكي الروسية مدينة ليك في بروسيا الشرقية .

سافر جلالة الملك فاروق الى الحجاز وعقد عدة اجتماعات مع جلالة الملك عبد العزيز بن سعود . ٢٦ – سقطت راستنبورغ في بروسيا .

٢٨ – احتلت قوات بتروف مدينة بوبراد في تشيكوسلوفاكيا .

الجوائز الكبرى في بارك بيروت خلال شهر شباط

الاحد في ٤ شباط : جائزة الامير بشير الكبرى
الجائزة : ٧٥٠٠ ل.ل. المسافة ٢٢٠٠ متر

الاحد في ١١ شباط جائزة هنري حلو الكبرى
الجائزة ٦٢٥٠ ل.ل. المسافة ١٦٠٠ متر

الاحد في ١٨ شباط : جائزة فرتك الكبرى
الجائزة ٧٥٠٠ ل.ل. المسافة ٢٥٠٠ متر

الاحد في ٢٥ شباط : جائزة المولد الكبرى
الجائزة ٧٥٠٠ ل.ل. المسافة ٣٢٠٠